النظرة الكلية لأخلاق الأرض عند ألدو ليوبولد
بحث في الأخلاقيات البيئية

إعداد

د. مصطفى عبد الرؤف راشد احمد

مدرس القيم وفلسفة الأخلاق – قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة سوهاج

د. وائل أحمد عبد الله صبره

مدرس فلسفة العلوم ومناهج البحث العلمي – قسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة سوهاج

الإستشهاد المرجعى:

مصطفى عبد الرؤف راشد احمد، وائل أحمد عبد الله صبره (2023). النظرة الكلية لأخلاق الأرض عند ألدو ليوبول"بحث في الأخلاقيات البيئية". ـ حولية كلية الآداب. جامعة بني سويف. ـ مج 12:ج 1. ـ ص ص 114 -47

المستخلص:

وصف الفيلسوف الأمريكي وعالم البيئة "ألدو ليوبولد" البشر بأنهم كائنات مستعمرة الأرض ومستنفذة لجميع مواردها الطبيعية، وسيفضي هذا – بطبيعة الحال – إلى تدمير الأرض وهلاك البيئة الطبيعية من حولنا؛ لذا ينبغي علينا أن ننظر إلى أنفسنا بوصفنا جزءا من المجتمع الحيوي، وأن ننظر إلى

أنفسنا بوصفنا مجرد مواطنين عاديين مثل بقية الأنواع الأخرى، وهذه النظرة لابد أن تكون قائمة على احترام جميع أشكال الحياة وتقديرها داخل المجتمع الحيوي، فمجتمع الأرض مجتمع مترابط ومنسجم؛ من أجل المحافظة على بقائه، ودوام استمراريته.

والقاعدة الأساسية التي تنطلق منها الأفعال الإنسانية، هي: يكون الفعل صحيحا عندما يحافظ على سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله، ويكون خاطئا إذا خالف ذلك.

وقد جاء هذا البحث ليتناول بالتحليل والنقد الأسس الأخلاقية التي تحدد طبيعة بني البشر وجميع أعضاء المجتمع الحيوي أو مجتمع الأرض. أما أهميته فتكمن في تغيير نظرتنا الاقتصادية للأرض؛ لتحل محلها النظرة الأخلاقية، من خلال الأفكار والآراء التي طرحها "ليوبولد" لحل تلك الإشكالية.

الكلمات الدالة: أخلاق الأرض، الضمير البيئي، صحة الأرض، تطورية الأخلاق، هرم الأرض.

مقدمة:

فلسفة البيئة ليست مجرد مفاهيم وتصورات عامة، بل هي فلسفة حياة، تعكس واقع المشكلات التي تهدد البيئة الطبيعية التي نعيش فيها. وتعد الأخلاقيات البيئية من أهم فروع فلسفة البيئة؛ لأنها تحدد طبيعة العلاقة بين الإنسان والعالم الطبيعي، عن طريق وضع قواعد تضبط سلوكيات الكائنات البشرية أثناء تعاملها مع البيئة، بوصفها الكائنات العاقلة الوحيدة، والقادرة على التصرف وفقا لقواعد وقوانين محددة.

وتأتي أخلاق المحافَظة على الأرض بوصفها نموذجا تطبيقيا على الأخلاق البيئية، والتي برع في وضع ارهاصاتها الأولى ومعالمها الفيلسوف والعالم البيئي الأمريكي "ألدو ليوبولد" Aldo Leopold (1887 – 1948م) في كتابه المعروف: "تقويم مقاطعة الرمل" A Sand County Almanac الذي نُشر في عام (1949م)؛ أي بعد وفاته بعام واحد.

نظر "ليوبولد" إلى البشر بوصفهم كائنات مستعمرة للأرض ومستنفِده لجميع مواردها الطبيعية، زد على ذلك أنهم يستخدمونها بوصفها مجرد "سلعة" من أجل الحصول على مزايا اقتصادية تحقق لهم ما يريدون من متع ورفاهية زائدة، وهذا ما سيؤدي – بطبيعة الحال – إلى تدمير الأرض وهلاك البيئة الطبيعية من حولنا؛ لذا ينبغي علينا أن ننظر إلى أنفسنا بوصفنا جزءا من المجتمع الحيوي الذي نعيش فيه؛ فأخلاق الأرض تدعو إلى احترام جميع أشكال الحياة داخل المجتمع الحيوي، وأن البشر هم مجرد مواطنين عاديين فيه مثل بقية الأنواع الأخرى؛ وطبقا لذلك، نظر "ليوبولد" إلى مجتمع الأرض نظرة كلية بوصفه مجتمعا مترابطا ومنسجما من أجل المحافظة على بقائه ودوام استمراريته، فالأفعال الإنسانية تكون صحيحة إذا حافظت على سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله، وتكون خاطئة إذا خالفت ذلك.

ومن هنا تأتي **أهمية الدراسة** في الكشف عن مدى إسهام "ليوبولد" في بناء نظرة كلية عن أخلاقيات المحافظة على الأرض، من خلال تغيير نظرتنا النفعية إلى الأرض إلى النظرة الأخلاقية، عن طريق توسيع المجال الأخلاقي من علاقة الإنسان بالإنسان، لتشمل علاقة الإنسان بالمجتمع الحيوي بأكمله. وفي الوقت نفسه تعد أول دراسة عربية أكاديمية متخصصة عن أخلاق الأرض عند "ليوبولد"، التي أعتقد أنها سوف تفتح الباب إلى مزيدٍ من الأبحاث الأخرى المتعلقة بفلسفة "ليوبولد" حول احترامنا العالم الطبيعي وتقديره. أضف إلى ذلك أن "ليوبولد" أضاف مجموعة من المفاهيم الأساسية لفلسفة البيئة، وهى التي كان لها تأثير كبير على معظم فلاسفة البيئة سواء المعاصرين له أو اللاحقين عليه، مثل: صحة الأرض، وأخلاق الحفظ، والضمير البيئي ...، وغيرها من المفاهيم التي سترد أثناء الدراسة، لذا فهو يلقب بـ"أبي" الطبيعة؛ لأنه قدم رؤية كلية نظرية وعملية عن الأخلاق البيئية، بفضل تمرُّسه

الميداني في الغابات والحياة البرية الأمريكية، وبفضل دوره الرائد في المجال الأكاديمي في قسم الزراعة والاقتصاد بجامعة ويسكونسن الأمريكية.

وتكمن إشكالية الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس، وهو: ما طبيعة العلاقة الأخلاقية بين الكائنات البشرية والأرض عند "ليوبولد"؟ وللإجابة عن هذا السؤال الرئيس للدراسة يمكننا معالجة التساؤلات الفرعية الآتية:

- ✓ ماذا يقصد "ليوبولد" بأخلاق الأرض؟
- ✓ ما أصل القاعدة الأخلاقية في أخلاق "ليوبولد"؟
- ✓ ما الأساس الفلسفي لأخلاق الأرض؟
- ✓ هل أخلاق الأرض أخلاق تطورية؟
- ✓ ماذا يقصد "ليوبولد" بصحة الأرض؟
- ✓ ماذا يقصد "ليوبولد" بالضمير البيئي؟
- ✓ هل هناك علاقة بين جمال الطبيعة وأخلاق الأرض؟
- ✓ ما أهم الأسباب التي أدت إلى عرقلة قيام أخلاق للأرض؟
- ✓ كيف قُيِّمت فلسفة أخلاق الأرض عند "ليوبولد"؟

أمَّا عن المنهج المستخدم، فسيتم الاعتماد على **المنهج التحليلي والمنهج النقدي** من أجل الوقوف على أهم أفكار "ليوبولد" ومعالجة آرائه حول أخلاق الأرض، كما سأعول على المنهج المقارن خاصة أثناء الحديث عند تقييم فلسفة "ليوبولد" حول أخلاق الأرض.

أمَّا عن محاور الدراسة، فتتكون من سبعة محاور رئيسة تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، وقد جاءت محاور الدراسة على النحو الآتي: المحور الأول: يتضمن عرض حياة "ليوبولد" وعلاقته بالحياة البرية بوصفها المصدر الأساس الذي

استقى منها أفكاره الواقعية عن أخلاق الأرض. ويتناول المحور الثاني تعريف "ليوبولد" لأخلاق الأرض، وفكرته عن توسيع المجال الأخلاقي ليشمل مجتمع الأرض برمته. أما المحور الثالث فيعرض لفكرة تطورية أخلاق الأرض (شكل الأرض ومُكملاتها). أما المحور الرابع فيعرض لفكرة الضمير البيئي، وتحميل الفرد المسئولية الأخلاقية تجاه الأرض. ويتناول المحور الخامس فكرة صحة الأرض وجمالها والمعايير الثلاثة التي تضمن تحقيق ذلك. والمحور السادس عبارة عن عرض لأهم الأسباب التي أدت إلى عرقلة قيام أخلاق الأرض، ودور المؤسسات التعليمية في هذا المسألة. أما المحور السابع والأخير فيناقش تقييمًا عامًّا لفلسفة "ليوبولد" حول أخلاق الأرض، عارضا لبعض الآراء النقدية التي توضح أن هناك قصورًا في بعض جوانب فلسفته.

المحور الأول: حياة "ليوبولد" وأثر الحياة البرية عليها.

اشتهر الفيلسوف والشاعر الأمريكي "ألدو ليوبولد" (1887 – 1948م) خلال حياته بأنه عالم ومدير للحياة البرية، وقد امتدت معرفته المهنية لتشمل الغابات متعددة الاستخدامات، وإدارة الأراضي العشبية، وتحديات تآكل التربة... وجذبت كتاباته المبكرة حول المحافظة على الحياة البرية Wildlife Conservation اهتماما واسعا؛ فقد قدم مجموعة من الأدلة على أن المحافظة على الحياة البرية يُروَّج لها – بشكل أفضل– من خلال تحسين موائل الحياة البرية، بدلا من فرض قيود أكثر صرامة على الصيد، وإنشاء محميات إضافية للطرائد، واستخدام التكاثر الاصطناعي[1].

[1]- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert (Editors in Chief): Encyclopedia of Environmental Ethics and Philosophy, Vol.2, Macmillan Reference USA, Gale & Cengage Learning, 2009, p. 22.

ساعد "ليوبولد" في تأسيس "جمعية الحياة البرية"، وهي واحدة من عدة منظمات أنشئت بسبب تأثيره وإسهاماته الفكرية، إضافة إلى "الجمعية البيئية الأمريكية" التي شغل منصب رئيسها، و"جمعية الغابات الأمريكية". وبعد أن أنهى "ليوبولد" مراحله التعليمية الأساسية، حصل في عام 1909م على درجة البكالوريوس في كلية ييل للغابات، وبعدها انضم إلى خدمة الغابات الأمريكية للعمل في أقاليم أريزونا ونيومكسيكو. وقد كانت إنجازاته هناك ملحوظة جدا، فقد ركَّزت دائرة الغابات على موارد السلع مثل: الاخشاب والأعلاف والمياه؛ ولكن سرعان ما وسع "ليوبولد" هذا المجال ليشمل إدارة الحياة البرية، بما في ذلك دليل كتابي لموظفي خدمة الغابات الأمريكية[1].

عُيِّن "ليوبولد" في عام 1914م في مقر دائرة الغابات الأمريكية بمدينة ألباكركي بولاية نيو مكسيكو، وأصبح – في النهاية – مسئولا عن مشروعات جديدة في مجال الترفيه والألعاب والصيد والدعاية. ثم قَبِل منصبا بدوام كامل بوصفه سكرتيرا لغرفة التجارة في مدينة "ألباكركي" في عام 1918م، وانضم مرة أخرى إلى خدمة الغابات في عام 1919م بوصفه مساعدا للغابات في تلك المنطقة مع إعطائه مسئوليات إدارية كبيرة، مثل: شئون الموظفين والتمويل وصيانة الطرق والممرات ومكافحة الحرائق لعشرين مليون فدان من الغابات الوطنية في الجنوب الغربي[2].

وقد كان أول بحوثه المنشورة عن الحياة البرية في عام 1921م، وفي عام 1924م أقنع المسئولين بإنشاء منطقة جيلا Gila البرية. وبعد ذلك دعته جامعة "ويسكونسن" في عام

1- Swanson, A. Gustav: Aldo Leopold; (1887-1948), Wildlife Society Bulletin, Vol.15, No.3, Wiley, (Autumn, 1987), p. 473.

2- Shook, R. John (general editor): The Dictionary of Modern American Philosophers, Vol.3, Bristol, England, Thoemmes Continuum, 2005, p. 1444.

1929م إلى إلقاء سلسلة محاضرات حول إدارة الطرائد، وهى التي أدت بعد أربع سنوات تقريبا إلى التطورات الحاسمة في تلك المهنة، ومنذ ذلك الحين، قررت جامعة "ويسكونسن" الاعتراف بـ"ليوبولد" بوصفه أول رئيس لإدارة الطرائد في الولايات المتحدة[1].

ثم أصبح "ليوبولد" في عام 1933م أستاذا لإدارة الطرائد بقسم الزراعة والاقتصاد في جامعة "ويسكونسن"، وهى التي أسهم من خلالها في تأسيس "جمعية الحياة البرية" عام 1935م، ... وفي خريف عام 1935م سافر "ليوبولد" إلى ألمانيا في زمالة "كارل شورز" لدراسة الغابات وإدارة الحياة البرية... وفي عام 1943م عُيِّن لمدة ست سنوات في لجنة المحافظة على ولاية "ويسكونسن"، وهو منصب سيطرت عليه المناقشات حول إدارة الغزلان[2].

لقد كان تأثير "ليوبولد" واسعا على المستوى الوطني أيضا؛ ففي عشرينيات القرن العشرين الميلادي ساعد "ليوبولد" مع الدكتور "آرثر آلين" Arthur Allen من جامعة كورنيل في مؤتمرات الطرائد الأمريكية التي عقدت في مدينة نيويورك؛ وذلك لتحول التركيز المُنصب على تربية الطرائد إلى البحث في بيولوجيا الحياة البرية وإدارتها. وفي عام 1934م عيَّنه رئيس الولايات المتحدة "فرانكلين ديلانو روزفلت" Franklin D. Roosevelt (1882 – 1945م) رغبة منه في التركيز على الحياة البرية في بَرْنامجه للمحافظة على الحياة البرية مع "جي. إن. دارلينج" J. N. Darling و"توم بيك" Tom Beck؛ وذلك لتطوير برنامج وطني

[1]- Swanson, A. Gustav: Aldo Leopold; (1887-1948), Op. Cit, p. 473.

[2]- Shook, R. John: The Dictionary of Modern American Philosophers, Op. Cit, p. 1444.

لاكتساب أراضٍ جديدة بوصفها ملجأ للحياة البرية، كما حث "روزفلت" "ليوبولد" على قبول منصب مدير لمكتب المسح البيولوجي، ولكنه رفض ذلك مفضِّلا منصبه الأكاديمي[1].

قُبلت مخطوطة كتاب "ليوبولد" المنقحة بعنوان: "ممتلكات عظيمة" Great Possessions من قبل مطبعة جامعة أكسفورد في عام 1947م، وهى التي نُشرت بعد وفاته في عام 1949م تحت عنوان: "تقويم مقاطعة الرمل؛ استكشافات هنا وهناك". وينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول "تقويم مقاطعة الرمل"، والجزء الثاني "استكشات هنا وهناك"، والجزء الثالث "النتيجة" The Upshot. الجزء الأول يؤرخ فيه ملاحظاته حول الطبيعة، ويتضمن الجزء الثاني: عدة مقالات عن الحفظ Conservation؛ أما الجزء الثالث فهو الجزء الأكثر فلسفية ومنهجية من كتاباته، ويشمل عدة مقالات عن "أخلاق الحفظ" Conservation Ethic، و"الحياة البرية في الثقافة الأمريكية"، و"البرية"، و"أخلاق الأرض" Land Ethic[2].

واجه "ليوبولد" وقتا محبطا للغاية في الحصول على ناشر لكتابه: "مقاطعة الرمل"، وقبل أسبوع من وفاته، وافقت مطبعة جامعة أكسفورد على نشر الكتاب، وفي عام 1953م نشرت مطبعة جامعة أكسفورد المجلد الثاني تحت عنوان: Round River، الذي يتضمن مجموعة من المقالات الإضافية، وفي عام 1966م أصدروا نسخة مبكرة من "المقاطعة الرملية" تضم أفضل ما تبقى من Round River، وساعدت تلك النسخة على إطلاق شرارة أيام الأرض Earth Days في سبعينيات القرن العشرين، ومن بعدها أصبح يطلق على

1- Swanson, A. Gustav: Aldo Leopold; (1887-1948), Op. Cit, pp. 473-474.

2- Shook, R. John: The Dictionary of Modern American …, Op. Cit, pp. 1444-1445.

"ليوبولد" اسم "القديس الراعي للحركة البيئية" The Patron Saint of The Environmental Movement[1].

تتعامل "أخلاق الحفظ" عند "ليوبولد" بشكل أساس مع الجوانب الثقافية والتاريخية للمحافظة على الأرض، وتتناول "وجهة نظر حيوية للأرض" A Biotic View of Land الجوانب البيولوجية، ويتناول "الضمير البيئي" The Ecological Conscience ما يسمى الجوانب الشخصية في التعامل مع الأرض. وفي كل هذه المجالات شهد "ليوبولد" تحولا إيجابيا لتطور فكره، فأخلاق الحفظ عبارة عند نقد للمعايير الاقتصادية لتحديد استخدام الأراضي، أما في "أخلاق الأرض" فيؤكد "ليوبولد" في ثلاثينيات القرن العشرين على ما سماه "مرض الأرض" Land Sickness والاستخدام العنيف للأرض، وهو ما أفسح المجال لمفهوم صحة الأرض والدعوة إلى أدلة داعمة وأكثر موضوعية في استخدامنا للأرض[2].

وتعد "أخلاق الحفظ" أول منشور مهم عند "ليوبولد" حول الأبعاد الفلسفية للحفظ، إلا أن جزءًا صغيرًا فقط من الأصل نجا بالفعل، ودمجه "ليوبولد" فيما بعد في "أخلاق الأرض". وكان الهدف الأساس منه وضع حركة الحفظ بقوة في طليعة الاتجاه التاريخي؛ أي الدعوة إلى إحلال الاعتبارات الأخلاقية محل الاعتبارات الاقتصادية البحتة في استخدامنا الأرض. ورأى "ليوبولد" من خلال أدوات وأفكار الحفظ إمكانية وجود علاقة جديدة أعمق وأكثر استمرارية مع الأرض، ولتأكيد هذه الأطروحة شرح "ليوبولد" بمزيد من التفصيل كيف توسعت الأنظمة الأخلاقية بمرور الوقت. وبحلول عام 1947م عزز "ليوبولد" حججه الداعمة، بحيث كان كل

1- Swanson, A. Gustav: Aldo Leopold; (1887-1948), Op. Cit, p. 474.

2- Meine, Curt: Building "Land Ethic", In "Companion to A Sand County Almanac; Interpretive & Critical Essays", ed by: J. Baird Callicott, Wisconsin, The University of Wisconsin Press, 1987, p. 175.

ما احتفظ به من "أخلاق الحفظ" هو التفسير التمهيدي الأصلي لفكرة "توسيع الأخلاق" Extension of Ethics[1].

أما "أخلاق الأرض" فهي أكثر تعبيرات "ليوبولد" ديمومة وتعبيرا عن قناعاته الشخصية، كتبها أثناء تأدية وظائف مهنية متنوعة، وهو عبارة عن تجميع لأفكاره وخبراته الميدانية،... إلا أن جزءا كبيرا من "أخلاق الأرض" مأخوذ من عنوان آخر، هو: "وجهة نظر حيوية للأرض" وهو مقال مهم قدمه في اجتماع مشترك بين "الجمعية البيئية الأمريكية" و"جمعية الغابات الأمريكية" في ميلووكي Milwaukee في 21 يونيو 1939م، وفيه قدم "ليوبولد" أول بيان لوجهة نظره البيئية الجديدة، عكس من خلاله مدى انغماسه في البحث البيئي والاستدلال خلال ثلاثينيات القرن العشرين[2].

نستنتج –مما سبق– أن "أخلاق الأرض" عند "ليوبولد" هي نتاج تطور فكره منذ سنواته الأولى في التعليم، فحياته مليئة بعدة رحلات ممتدة – في كثير من الأحيان– إلى الحياة البرية، وكذلك فقد منحه تعليمه الرسمي في العلوم البيولوجية – علم الحيوان وعلم النبات والغابات والزراعة – توجيها مستنيرا لملاحظاته حول الحياة البرية. كما أن تأملات "ليوبولد" عن الطبيعة مليئة بالإشارات إلى التطور البيولوجي والعمليات البيولوجية، فقد تأثر بـ "تشارلز داروين" Charles Darwin (1809 – 1882م)؛ حيث ربط علاقة الإنسان بكل أشكال الحياة الأخرى... وبالتالي يجب على الإنسان أن يحترم الأرض ويقدرها، بكل ما

1- Ibid, pp. 175-176.

2- Ibid, pp. 172-173.

تحتويه من أشياء سواء كانت عضوية أو غير عضوية[1]؛ ومن ثم ينبغي علينا توسيع حدود العلاقات الأخلاقية بين الفرد والمجتمع لتشمل الأرض[2].

يتضح مما سبق، أن فكر "ليوبولد" تَشَكل من خلال تعامله مع الأرض نفسها وإدراكه المتغير لها، فقد اعتبر نفسه رجل ميدان، فلم يكن تفكيره نتاج كتب قرأها، أو حتى التأثر بأحد الأصدقاء المقربين، فقد كان مقتنعا بأن مادة الوعي البيئي تقوم على: الملاحظة والدقة والتفكير النقدي... ولم يكن "ليوبولد" خائفا من السؤال بـ"لماذا؟"؛ لأنه لم يحاول الإجابة وهو جالس في مكتبه، فقد كان على استعداد دائم للنظر والرؤية، وتغيير ملامح تفكيره حول أي قضية طالما أن هناك ما يبرر ذلك، كما أنه حافظ على منظور واسع حول الوسائل والغايات، وهو منظور اكتسب اتساعا وعمقا ووضوحا من خلال مسيرة حياته، ولكنه لم يتغير بشكل جوهري[3].

المحور الثاني: تعريف أخلاق الأرض.

تميل معظم الكتابات النقدية حول "أخلاق الأرض" عند "ليوبولد" إلى التركيز على خمس قضايا أساسية متداخلة، وهي:

1- ما أصل القاعدة الأخلاقية في أخلاق "ليوبولد"؟

2- ما مدى توافق اهتمام "ليوبولد" بمجتمع الأرض مع الاعتبارات الأخلاقية بين أجزائه البشرية وغير البشرية؟

---

[1]- Shook, R. John: The Dictionary of Modern American …, Op. Cit, p. 1445.

[2]- Loc. Cit.

[3]- Flader, L. Susan: A Biographical Study of Aldo Leopold; Thinking Like a Mountain, Forest History Newsletter, Vol.17, No.1, Oxford: Oxford University Press, (Apr., 1973), p. 28.

3- ما القوة الموضوعية أو مضمون أخلاق الأرض؛ أي ما الذي يعتقده "ليوبولد" بالحفاظ على سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله؟

4- كيف تصور "ليوبولد" أن أخلاقه سوف تكتسب قوة بمرور الوقت، بناء على توسيع المعايير المجتمعية والأخلاقية؟

5- هل أخلاق "ليوبولد" الآن بحاجة إلى مراجعة، بسبب التغييرات التي طرأت في فهم علماء البيئة عمل الطبيعة؟[1].

فَهِمَ "ليوبولد" الأخلاق على أنها مجموعة من المُثل المعيارية التي تقيد الأفراد في الحياة اليومية، وهم يسعون وراء مصالحهم الذاتية. فأكد على أن الأفراد يميلون إلى فعل ما هو ملائم لهم شخصيا، ومن ثم تتطلب المخططات الأخلاقية القابلة للتطبيق منهم توسيع نطاق اهتماماتهم الأنانية Selfish Concerns لمراعاة رفاهية أفراد المجتمع الآخرين[2].

وهذا ما أكد عليه "ليوبولد" قائلا: "تعمل الأخلاق بيئيا على تقييد حرية الفعل في النضال من أجل البقاء، وتعمل الأخلاق فلسفيا على المفاضلة بين السلوك الاجتماعي والسلوك المضاد للمجتمع، وهذان تعريفان لشيء واحد، ويعود أصل الشيء إلى ميل الأفراد أو الجماعات المترابطة إلى تطوير أنماط من التعاون، يَطلق عليها علماء البيئة اسم التكافل Symbioses"[3].

1- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Op. Cit, p. 22.

2- Loc. Cit.

3- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and Sketches Here and There, New York, Oxford University Press, 1949, p. 202.

فأخلاق الأرض كما عرفها "ليوبولد" ترفض الأطروحات "الفردانية" و"المختزلة" التي تطبع توجها كالفلسفة "المتمركزة حول الحياة" التي تبوئ الكائنات الحية مقاصد أخلاقية جوانية باعتبارها كائنات معزولة... تبعا لذلك يعتقد "المتمركزون حول البيئة" أن الإدراك السليم لمعطيات الطبيعة يستلزم توسيع زاوية النظر، بحيث لا يُقْتصَر على رؤية مكونات الطبيعة معزولة عن بعضها، بل ينبغي التركيز على مفهوم التبادل والعلاقات البينية، وتداخل الارتباطات بين جميع عناصر النسق البيئي التي تشكل الغلاف الحيوي برمته[1].

يتضح من التعريف السابق أن أصحاب مذهب "أخلاق الأرض" يوسعون من دائرة الأخلاق البيئية؛ حيث لم تعد تقتصر على مراعاة حقوق الحيوانات، أو مراعاة تغيير نمط التفكير البيئي من المركزية البشرية إلى المركزية الحيوية، بمعنى اتساع دائرة حقوق الكائنات الأخرى؛ لتشمل دائرة الكائنات الحية ككل في البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها والمحيطة بهم، بل تشمل أيضا –حسب دعاة أخلاق الأرض– كل ما على الأرض من أشياء وكائنات. وقد بنى "ليوبولد" هذه الرؤية المتسقة على أساس اعتقاده بأن الأخلاق الإيكولوجية هي في الأساس تمثل قيدا على حرية الفعل في الصراع من أجل البقاء. وإذا كانت الأخلاق التقليدية تعاملت مع العلاقة بين الأفراد، ثم ارتقت إلى التعامل والتكامل في العلاقة بين الفرد والمجتمع، فإنه قد غاب عنها بعد أخلاقي يتعلق بعلاقة الإنسان بالأرض والحيوانات والنباتات التي تنمو عليها[2].

---

[1] - بامي، جمال: القيم البيئية في فلسفة أخلاق الأرض، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، العدد (127)، المملكة المغربية، الرابطة المحمدية للعلماء، (27 – 5 – 2016م)، ص 13.

متاح على الرابط التالي: القيم البيئية في فلسفة أخلاق الأرض - بوابة الرابطة المحمدية للعلماء (awabit:am) .

[2] - النشار، مصطفى: مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الإيكولوجية المعاصرة، ط2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2015م، ص 78.

ويشير "ليوبولد" إلى أنه تم توسيع المعايير الأخلاقية خلال السنين الثلاثة آلاف الماضية؛ لتشمل عديدًا من مجالات السلوك، مع تقليص مماثل للمعايير التي ينظر إليها على أنها نفعية فحسب، وهذا التوسيع للأخلاق لم يدرسه حتى الآن سوى الفلاسفة، على الرغم من أنه – في الواقع – عملية تطور بيئي، يمكن وصف تسلسلها من الناحية البيئية، وكذلك الفلسفية[1].

يتضح من ذلك، أن "ليوبولد" قد اظهر اهتماما خاصا بكيفية توسيع المجتمعات الأخلاقية ذات الصلة بحجم المجتمعات وتكوينها مع مرور الوقت، بدءا من الشعوب البدائية المبكرة، وهي التي أدرك على آثارها أن هناك تقدما بطيئا وطويل الأمد في هذه المجتمعات، ثم تساءل في عديد من كتاباته عما إذا كان هذا التطور البطيء طويل الأمد سيستمر، والذي على أثره يمكن توسيع المجتمع الأخلاقي ليشمل الأرض بوصفها كلية موحدة Integrated Whole[2].

ثم يشير "ليوبولد" إلى أن الأخلاق – في البداية – كانت تتعامل مع العلاقة بين الأفراد، مثل الوصايا الفسيفسائية Mosaic Decalogue، ثم تنامت بعد ذلك، وتعاملت مع التراكمات اللاحقة للعلاقة بين الفرد والمجتمع، والقاعدة الذهبية في تلك الحالة تعمل على دمج الفرد في المجتمع... ثم أشار إلى أنه حتى الآن لا يوجد أي تعامل أخلاقي يوضح علاقة الإنسان بالأرض، وبالحيوانات والنباتات التي تنمو عليها؛ فمثل فتيات "أوديسيوس(*)"،

1- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 202.

2- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Op. Cit, p. 22.

(*) "فتيات أوديسيوس": ست فتيات إماء أعدمهن "أوديسيوس" بحبل واحد عندما عاد من حروبه في طروادة، بعد أن ارتاب في سلوكهن إبان غيابه، ولم يطرح شنقهن أي تساؤل حول موافقته لآداب المجتمع؛ فالفتيات كن مملوكات، والتصرف في الملكية كان آنذاك -كما هو الآن- قضية نفعية وليست قضية حق وباطل.

ما زال يُنظر إلى الأرض على أنها ملكية خاصة، وما تزال علاقتنا بالأرض اقتصادية بحتة، وتنطوي على امتيازات، وليس التزامات[1].

ثم يستطرد قائلا: "قد يُنظر إلى الأخلاق على أنها طريقة إرشادية لمواجهة المواقف البيئية الجديدة أو المعقدة، أو التي تنطوي على ردود فعل مؤجلة؛ بما أن سبيل النفعية الاجتماعية غير مُدرَك من قبل الفرد المتوسط. إن غرائز الحيوان قد تكون شكلا لإرشاد الفرد في مواجهة مثل هذه المواقف؛ لذلك فمن الممكن أن تكون الأخلاق نوعا من الغريزة الاجتماعية في طور التكوين أو النشوء"[2].

يستنتج "ليوبولد" –مما سبق– أن مفهوم الأخلاق الذي طُوِّرَ حتى الآن يستند إلى فرضية واحدة، هي: أن الفرد عضو في مجتمع من أجزاء مترابطة، وغرائزه تدفعه إلى التنافس على مكانة في المجتمع، بينما أخلاقه تدفعه أيضا إلى التعاون؛ فأخلاق الأرض تعمل ببساطة على توسيع حدود المجتمع ليشمل التربة والمياه والنباتات والحيوانات، أو بشكل كلي: "الأرض"[3].

يشتمل المصطلح الكلي للأرض عند "ليوبولد" على النباتات والحيوانات والتربة والمياه؛ وتعني أخلاق الأرض: "احترام جميع أشكال الحياة داخل المجتمع الحيوي، وأن البشر

انظر: ليوبولد، ألدو: أخلاق الأرض، ضمن كتاب: "الفلسفة البيئية؛ من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية"، جـ 1، تأليف: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، مجلة عالم المعرفة، العدد (332)، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، 2006م، ص 145.

1- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 202-203.

2- Ibid, p. 203.

انظر أيضا: ليوبولد، ألدو: أخلاق الأرض، مرجع سابق، ص 147.

3- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, pp. 203-204.

هم مواطنون في ذلك المجتمع، أو بعبارة أخرى يجب على الأفراد تقدير الأرض واحترام كل ما فيها"[1].

يبدو أن هناك مجموعة من العوامل المؤثرة في تفكير "ليوبولد" الأخلاقي؛ منها: اقتناعه أن البشر كائنات محدودة، كما أعرب عن ذلك؛ فهناك الكثير مما لا يعرفه البشر، وربما لن يعرفوه أبدا، كما أن هناك حدودا لقدرة البشر على التفكير، وكذلك هناك حدود لقدرات البشر التعبيرية للغاتهم. كما أكد أنه حتى العلماء المدربون لا يعرفون سوى القليل عن عمل الأرض، وهو واقع يؤدي إلى تفاقم التحدي المتمثل في تحديد صحة الأرض. وخلص "ليوبولد" إلى أنه بسبب هذه الحدود، فمن المعقول أن يعتمد الناس على المشاعر sentiments والحدوس intuitions بالإضافة إلى الحقائق والأسباب المعرفية، ومن المعقول أيضا التصرف بتواضع واستخلاص الدروس من سلوكيات الأنواع التي ازدهرت لفترة أطول بكثير من الإنسان العاقل Homo Sapiens[2].

ويشير "ليوبولد" إلى أن أخلاق الأرض لا تمنع – بالطبع– تغييرًا في إدارة الموارد الطبيعية واستخدامها، ولكنها تؤكد على حقها في استمرارية وجودها، أو على الأقل استمرار وجودها في حالة طبيعية. وباختصار كما يقول: "تُغيِّر أخلاق الأرض دور الإنسان العاقل من مستعمر Conqueror لمجتمع الأرض إلى مجرد عضو عادي ومواطن فيه. إنها تعني احترام زملائه الأعضاء، وكذلك احترام المجتمع على هذا النحو"[3].

1- Shook, R. John: The Dictionary of Modern American …, Op. Cit, p. 1445.

2- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Op. Cit, p. 23.

3- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 204.

نستنتج مما سبق، أن "ليوبولد" اعتبر أن الأخلاق أكثر من مجرد قاعدة تصرُّف تضبط السلوك؛ لأنها افتراض لتحول واسع النطاق في الطرق التي يتصور بها الناس الطبيعة وكيفية تفاعلهم معها، بدلا من كونهما منفصلين إلى مجتمعين كاملين،... وطبقا لهذا فإن أخلاق الأرض تتطلب تغيرا داخليا في تركيزنا الفكري وولاءاتنا وعواطفنا وقناعاتنا، إنها تتطلب تغيرا فيما يريده الناس، وما يُقدرونه، وما يرونه جميلا[1].

المحـــور الثالـــث: تطوريـــة أخـــلاق الأرض (شـــكل الأرض ومُكملاتها).

يؤكد "ليوبولد" –في أخلاق الأرض– أن العلاقة الأخلاقية بالأرض تعتمد على الصورة الذهنية للأرض، بحيث يمكن ربطها بشيء ما أكثر من مجرد مخزون للموارد الاقتصادية، رافضا ما يسمى صورة "توازن الطبيعة"، واقترح بدلا منها ما يسمى صورة "الهرم الحيوي" Biotic Pyramid[2].

وهذا ما أشار إليه "ليوبولد" قائلا: "إن الأخلاق تعمل على تكملة علاقة الاقتصاد بالأرض، وكذلك ترشدنا إلى وجود صورة ذهنية عن الأرض بوصفها آلية حيوية Biotic Mechanism، فيمكن أن نكون أخلاقيين فقط فيما يتعلق بالشيء الذي نراه أو نشعر به أو نفهمه أو نحبه أو نؤمن به"[3]. وقد أشار "ليوبولد" إلى أن الصورة المستخدمة – بشكل شائع

1- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Op. Cit, p. 23.

2- Dicks, Henry: Aldo Leopold and the Ecological Imaginary; The Balance, the Pyramid, and the Round River, Environmental Philosophy, Vol.11, No.2, 2014, p. 179.

3- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 214.

– في تعليم المحافظة على الأرض، هي صورة: "توازن الطبيعة"... إلا أن هذه الصورة تخفق عندما يتعلق الحديث بوصف القليل عما نعرفه عن آلية الأرض، أما الصورة الأكثر صدقا المستخدمة في علم البيئة فهي: "الهرم الحيوي"[1].

وجدت صورة الهرم الحيوي في علم البيئة، من قِبل عالم الأحياء الإنجليزي "تشارلز إلتون[•]" Charles S. Elton (1900 – 1991م) تحت مسمى "هرم الأرقام[♦]" Pyramid of Numbers، وهو يمثل هيكل العلاقات الغذائية التي تحدث بين مختلف أعضاء المجتمع الحيوي، وبالتالي تدفق الطاقة في جميع أنحاء النظام ككل[2].

وهذا ما أوضحه "ليوبولد" حينما صوَّر الهرم الحيوي بوصفه مركزا للأرض، على النحو التالي: تمتص النباتات الطاقة من الشمس، ثم تتدفق هذه الطاقة من خلال دائرة تسمى

1- Loc. Cit.

[•] "تشارلز سذرلاند إلتون": عالم أحياء إنجليزي، يعد مؤسس علم البيئة الحيواني، قدم عديدًا من الاسهامات في سياسات ووكالات حماية الطبيعة في بريطانيا، وفي تحديد صلة العلوم البيئية بالاهتمامات الاقتصادية والبيئية، ومن أهم مؤلفاته: "علم البيئة الحيواني" نشر عام 1927م، و"علم البيئية الحيواني والتطور" عام 1930م، و"علم بيئة للحيوانات" عام 1933م.

See: https://www.encyclopedia.com/people/history/historians-miscellaneous-biographies/charles-s-elton, In: 15-12-2020.

[♦] هرم الأرقام: هو تعبير بياني عن أعداد الكائنات الحية الفردية الموجودة في كل مستوى غذائي لنظام بيئي، وتكمن أهميته –كما يشير إلتون- في كونه يظهر أعداد الحيوانات وطرق تنظيمها، وأن عددا كبيرا من الظواهر المرتبطة بالأرقام تدين بأصلها إلى الطريقة التي رُتبت بها المجتمعات الحيوانية وتنظيمها، وتشير أيضا إلى أن هناك عمليات مختلفة تحدث في بيئة الحيوانات، وأن العدد الأمثل لنوع ما يتأثر بالطبيعة غير المستقرة للبيئة، والتي تتغير دائما، علاوة على ذلك فمن الناحية العملية لا توجد حيوانات تبقى ثابتة في الأعداد لفترة زمنية، وكذلك يساعدنا في الاستفسار عن تأثير الاختلافات في أعداد الحيوانات، وفي الوسائل التي تُنظَّم خلالها الأعداد في المجتمعات الحيوانية.

See: Elton, Charles: Animal Ecology, New York, The Macmillan Company, 1927, p. 102.

2- Dicks, Henry: Aldo Leopold and the Ecological Imaginary…, Op. Cit, p. 180.

الحياة النباتية والحيوانية The Biota، والتي يمكن تمثيلها بسلسلة تتكون من عدة طبقات؛ الطبقة السفلية تسمى التربة، وتوجد طبقة نباتية على التربة، وطبقة حشرات على النباتات، وطبقة من الطيور والقوارض على الحشرات، وهكذا حتى نصل عبر مجموعات حيوانية مختلفة إلى الطبقة العليا التي تتكون من آكلات اللحوم الكبرى[1].

ثم يشير "ليوبولد" إلى أن أنواع الطبقة لا تتشابه في المكان الذي أتت منه، أو الشكل الذي تبدو عليه، بل فيما تأكله؛ فتعتمد كل طبقة متتالية على الطبقات التي تحتها في الغذاء، وغالبا في الخدمات الأخرى. وكل منها بدورها تقدم الغذاء والخدمات إلى الطبقة التي تعلوها، وبالانتقال إلى الأعلى تتناقص كل طبقة متتالية في الوفرة العددية. وهكذا فإن مقابل كل حيوان آكل للُّحوم ثمة مئات من الفرائس، ومن ثم آلاف الفرائس، وملايين من الحشرات وعدد لا يحصى من النباتات، يعكس هذا الشكل الهرمي للمنظومة هذا التقدم العددي من القمة إلى القاعدة base[2].

ولكن، ما علاقة الجنس البشري بالهرم الحيوي؟

يشير "ليوبولد" إلى أن البشر حيوانات آكلة للحوم تقع في الطبقة الوسطى من الهرم، جنبا إلى جنب مع الدِّببة والراكون والسناجب التي تأكل اللحوم والخضروات[3]. وفي هذا يقول: "إن البشر يشتركون في طبقة وسطى مع الدببة والراكون والسناجب التي تآكل اللحوم والخضروات، وتسمى خطوط الاعتماد على الطعام والخدمات الأخرى بالسلاسل الغذائية... وكل نوع –بما في ذلك نحن– عبارة عن رابط في عديد من السلاسل الغذائية، يأكل الغزال

1- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, pp. 214-215.

2- ليوبولد، ألدو: أخلاق الأرض، مرجع سابق، ص 156.

3- Dicks, Henry: Aldo Leopold and the Ecological Imaginary…, Op. Cit, p. 180.

مائة نبتة غير البلوط، وتأكل البقرة مائة نبتة غير الذُّرة، وكلاهما إذن عبارة عن روابط في مائة سلسلة غذائية"[1].

فالتسلسل إذن عبارة عن سلسلة متشابكة من سلاسل معقدة للغاية، بحيث تبدو غير منتظمة، ومع ذلك فإن استقرار المنظومة تثبت أنه هيكل منظم للغاية، يعتمد وظيفيا على التعاون والمنافسة بين أجزائها المتنوعة؛ ففي البداية كان تسلسل الحياة منخفضا وهادئا، سلاسل الغذاء قصيرة وبسيطة، ثم أضاف التطور طبقة بعد طبقة، روابط بعد روابط، والإنسان واحد من بين آلاف التراكمات التي تسببت في ارتفاع هذه السلسلة وتعقيدها. لقد أعطانا العلم الكثير حول الشكوك، لكنه أعطانا يقينا واحدا على الأقل، وهو أن التطور يتجه نحو توسيع الحياة النباتية والحيوانية وتنويعها[2].

ويبدو هناك مدى تأثر "ليوبولد" بفكرة التدرج Gradualism عند "داروين"، وهى التي تعني أن التطور عملية بطيئة وليست ناتجة عن طفرات، تأتي كل منها بتغيرات بسيطة جدا طرأت على الأنواع، وتراكمها عبر الزمن البعيد يؤدي لتباين الأنواع؛ وهي فكرة تدعمها نظرية قدم الأرض التي يقدر عمرها بآلاف الملايين من السنين[3].

وينبغي ملاحظة أن وضع الإنسان في هذه السلسلة ليس بهذه البساطة التي توحي بها الصورة؛ لأن اختراع الأدوات قد غير بشكل جذري علاقتنا ببقية المجتمع الحيوي، وتشمل المظاهر المختلفة لهذه العلاقة المتغيرة ما يلي: تم اقتلاع المفترسات العليا من قمة التسلسل، مما قلل من تعقيده وقصَّر سلاسله الغذائية، وأدى الاهتمام بعدد من النباتات إلى ظهور آفات

---

[1]- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 215.

[2]- Ibid, PP. 215-216.

[3]- داروين، تشارلز: أصل الأنواع، ط3، ترجمة: مجدي محمود المليجي، تقديم: سمير حنا صادق، تصدير: إسماعيل سراج الدين، العدد (3-628)، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2014م، ص 17.

جديدة، وهو ما ترتب عليه ظهور العلوم الزراعية، التي تعد تقنية للسيطرة عليها، كما أدت الزراعة التقليدية إلى استنزاف التربة؛ مما أدى إلى تآكل واسع النطاق لمساحة الأراضي الزراعية، كما أن تقدم الصناعة يلوث المياه حيث يعرقل تدفقها من خلال إنشاء السدود، وتطور النقل سمح باستيراد الأسمدة من أراضٍ بعيدة[1].

ولكن، ما الذي يقترحه "ليوبولد" للتخلص من هذه الفوضى؟

أولا: يعتقد أنه يجب علينا أن نكون على وعي بمقاومة التحيزات الحيوية المختلفة لتدخلاتنا، بحيث يجب احترام البيوت الحيوية وموائلها الهشة أو الضعيفة، إما بشكل مطلق أو على الأقل بشكل ملحوظ.

ثانيا: بشكل عام، يعتقد أنه يجب علينا السعي للحد من العنف الكلى لتعديلاتنا على الهرم الأرضي؛ أي عدم تجاوز المرونة الطبيعية للهرم الأرضي، فمثلا الزراعة حتما ستشوه السلسلة، ولكن ليس بالضرورة أن تتسبب في انهيار التسلسل بالكامل. في ضوء ذلك يدعو "ليوبولد" إلى تغيير الموقف؛ "فبدلا من اعتبار أنفسنا مستعمرين للأرض، وأننا نحاول الوصول إلى قمة الهرم وإخضاع كل ما يقع تحتنا وقمعه، مما سيؤدي إلى انهيار الصرح بأكمله، فيجب علينا أن نرى أنفسنا بوصفنا مواطنين في المجتمع الحيوي، وبالتالي نعي أهمية الدور الذي تؤديه الكائنات الأخرى، ليس فحسب في الإنتاج الاقتصادي المباشر، بل في صحة هرم الأرض أيضًا وجماله كله[2].

[1]- Dicks, Henry: Aldo Leopold and the Ecological Imaginary…, Op. Cit, pp. 180-181.

[2]- Ibid, p. 181.

وهذا يعني، أن "ليوبولد" يحظر فكرة القضاء على الأنواع مهما بدت عديمة الفائدة، فإذا كانت آلية الأرض جيدة، فكل جزء منها جيد، سواء فهمنا ذلك أم لا، وإذا كانت الكائنات الحية على مدى دهور من الزمن قد بنت شيئا نحبه، ولكننا لا نفهمه، فمن الحماقة تجاهل الأجزاء التي تبدو عديمة الفائدة؛ فالمحافظة على كل ترس وعجلة أول احتياط من الإصلاح الذكي[1].

وبذلك، فإن "ليوبولد" معارض لفكرة الانتخاب الطبيعي Natural Selection عند "داروين"، وهى التي تشكل آلية حدوث التطور، وهو ما يمكن تلخيصه في مبدأي: التنازع على البقاء بين الأنواع وبعضها وبين أفراد النوع الواحد، والبقاء للأصلح Survival of the Fittest ليس بمعنى الأقوى، ولكن بمعنى الأكثر ملاءمة للتعامل مع البيئة التي يوجد بها[2].

وبهذا المعنى، فإن فلسفة "ليوبولد" حول أخلاق الأرض تهدف إلى مبدأ التنوع والتعايش الذي يعزز فيه التنوع إمكانية البقاء وفرض النماذج المستجدة للحياة وثراء أشكالها. إن ما يُدعى الصراع من أجل الحياة والبقاء للأصلح ينبغي تأويله بمعنى القدرة على التصاحب في الوجود، وعلى التعاون في إطار علاقات معقدة، بدلا من معنى القدرة على القتل والاستغلال والبطش. فـ"مبدأ عِشْ ودَعْه يعيش" مبدأ إيكولوجي أقوى من "إما أنت وإما أنا"[3].

1- Wenz, S. Peter: Leopold's Novel; The Land Ethic in Barbara Kingsolver's Prodigal Summer, Ethics and The Environment, Vol.8, No.2, Bloomington: Indiana University Press, (Autumn, 2003), P.120.

2- داروين، تشارلز: أصل الأنواع، مرجع سابق، ص 17، 147.

3- رومية، معين (المحرر والمترجم): مدخل إلى الفكر الإيكولوجي، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافية، 2007م، ص 45.

حدد "ليوبولد" ثلاث قيم ثقافية تجدد الارتباط مع العالم الطبيعي، وهي:

1- هناك قيمة في أي تجربة تذكرنا بأصولنا وتطورنا، أي إنها تحفز وعينا بالتاريخ، وهذا الوعي يمثل القومية في أفضل معانيها، ولعدم وجود اسم قصير لهذا المعنى أطلق عليها "ليوبولد" اسم Split Rail Value[1]. وهذه القيمة هي أفضل طريقة لإبقائنا على وعي بترابطنا وعلاقتنا الثقافية مع العالم الطبيعي، والفرضية الأساسية لهذه القيمة هي أنه عن طريق هذا الترابط نطور تقديرا للبيئة ودورنا فيها[2].

2- هناك قيمة في أي تجربة تذكرنا باعتمادنا على السلسلة الغذائية للتربة والنبات والحيوان والإنسان. لقد أدت الحضارة إلى تشويش هذه العلاقة البدائية بين الإنسان والأرض، خلال الآلات والوسطاء إلى درجة أن الوعي بها ينمو؛ فنحن نتصور أن الصناعة تدعمنا، متغافلين عن ما يدعم الصناعة[3]. ويشير "ليوبولد" إلى أنه منذ الأزمنة الأولى، كان أحد المعايير الرئيسة للحضارة القدرة على غزو البرية وقهرها وتحويلها إلى الاستخدام الاقتصادي، وإنكار صحة هذا المعيار يعني إنكار التاريخ نفسه، ولكن نظرا لأن غزو البرية قد أنتج ردود فعل مفيدة على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فقد وضعْنا بشكل أو بآخر

[1]- Leopold, Aldo: Wildlife in American Culture, The Journal of Wildlife Management, Vol.7, No.1, Wiley, (Jan., 1943), p. 1.

[2]- Taylor, Michael: Leopold's Split Rail Values, Introduction to Environmental, September 19, 2009. In: https://introenvlshu.wordpress.com/2009/09/19/leopolds-split-rail-values, 11-12-2020.

[3]- Leopold, Aldo: Wildlife in American Culture, Op. Cit, p.1.

ودون وعي افتراضا معاكسا، وهو أن هذا التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي سيؤدي إلى قهر البرية بالكامل من خلال تدمير بيئتنا وهلاكها[1].

3- أدى غزو الطبيعة بواسطة الآلات إلى كثيرٍ من التدمير غير الضروري للموارد؛ فأدواتنا تتحسن أسرع مما نفعل، ومن غير المحتمل أن تعلمنا دوافعنا الاقتصادية وحدها أن استخدام أدواتنا الجديدة سيكون رويدا رويدا، والعلاج الوحيد لتلك المشكلة هو توسيع نظامنا الأخلاقي من العلاقة بين الإنسان والإنسان؛ ليشمل العلاقة بين الإنسان والأرض[2].

نستنتج مما سبق أن "ليوبولد" يعتقد أن التصنيع والتحضر ووفرة الموارد المادية، تحجب فهم الناس تجاه ارتباطهم بالأرض، وبمجرد أن يفهم الناس أهمية ارتباطهم بالأرض، فإنهم سيتحملون عن طيب خاطر المسئولية الشخصية للمحافظة عليها[3].

ولكن، ما هي الأرض من وجهة نظر "ليوبولد"؟

يتبين رأى "ليوبولد" بقوله: "إن الأرض ليست مجرد تربة، إنها ينبوع للطاقة يتدفق عبر دائرة من التربة والنباتات والحيوانات، وسلاسل الغذاء هي القنوات الحية التي تنقل الطاقة إلى أعلى، والموت والتحلل يعيدهما إلى التربة"؛ فالدائرة هنا ليست مغلقة، فبعض هذه الطاقة تتبدد

1- Leopold, Aldo: Wilderness as a Form of Land Use, The Journal of Land & Public Utility Economics, Vol.1, No.4, Madison: University of Wisconsin Press, (Oct., 1925), p. 398.

2- Leopold, Aldo: Wildlife in American Culture, Op. Cit, p.1.

3- Frese, J. Stephen: Aldo Leopold; An American Prophet, The History Teacher, Vol.37, No.1, Society for History Education, (Nov., 2003), p.106.

عند التحلل، وبعضها يضاف عن طريق الامتصاص من الهواء، وبعضها يخزَّن في التربة والخُثِّ والغابات المعمِّرة، لكنها دائرة مستدامة، مثل صندوق الحياة المتجددة ببطء[1].

ثم يؤكد "ليوبولد" على أهمية التكيف بين هذه الأجزاء، فعندما يحدث تغير في جزء واحد من الدائرة، يجب أن يتكيف عدد من الأجزاء الأخرى معه؛ فالتغير لا يؤدي بالضرورة إلى إعاقة تدفق الطاقة أو تحويلها؛ لأن التطور سلسلة طويلة من التغيرات التي تحدث ذاتيا، والنتيجة النهائية لها هي تطور آلية التدفق وإطالة الدائرة، ومع ذلك فإن التغيرات التطورية عادة ما تكون بطيئة وموضوعية، إلا أن اختراع الإنسان للأدوات مكنته من إجراء تغيرات غير مسبوقة في عنفها وسرعتها ومداها[2].

يوحي هذا المخطط الموجز للأرض بوصفها دورة طاقية بثلاث أفكار أساسية:

1- إن الأرض ليست مجرد تربة.

2- إن النباتات والحيوانات تُبقي دورة الطاقة مفتوحة، في حين أن غيرها قد يبقيها مفتوحة أو لا.

3- إن التغيرات المُحدَثة بشريا ذات نظام مختلف عن التغيرات التطورية، ونتائجها أكثر شمولا مما يُطلَب أو يُتوقع[3].

ويشير "ليوبولد" إلى أن الدليل المشترك للتاريخ وعلم البيئة يدعم استنتاجا عامًّا واحدًا، هو أنه: كلما كانت التغيرات التي من صنع الإنسان أقل عنفا، زادت احتمالية نجاح إعادة التكيف في التسلسل... وأن العنف يختلف بدوره حسب الكثافة السكانية البشرية؛ فالعدد

---

[1]- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 216.

[2]- Ibid, pp. 216-217.

[3]- ليوبولد، ألدو: أخلاق الأرض، مرجع سابق، ص 156.

الكثيف من السكان يفضي إلى تحول أكثر عنفا. إلا أن هذا الاستنتاج يتعارض مع فلسفة "ليوبولد"، ويرى أن الزيادة الصغيرة في الكثافة إن كانت قد أغنت الحياة البشرية، فإن زيادة غير محدودة سوف تغنيها على نحو غير محدود. ولا يعلم علم البيئة عن كثافة تستمر إلى تخوم واسعة بلا حدود؛ فكل المكاسب الناتجة عن الكثافة تخضع لقانون تناقص العائدات[1].

ولكن، كيف تتطور أخلاق الأرض؟

لفتت أخلاق الأرض عند "ليوبولد" الانتباه إلى كيفية ظهور الأخلاق بمرور الوقت داخل المجتمعات الأخلاقية، وقد استند "ليوبولد" في ذلك إلى رأي "داروين" الذي وصف قوى تطورية تدافع عن تطور المجتمعات بمرور الوقت، لتوسيع مدى وصولها إلى المُثل الأخلاقية.

عرف "ليوبولد" الأخلاق – كما عُرض سابقا – على أنها ميل الأفراد أو الجماعات المترابطة إلى تطوير أنماط من التعاون، واعتقد أنه –مع قليل من التفكير الواعي– سوف يوسع أعضاء المجتمع الأخلاقي تدريجيا حجم المجتمع وتكوينه، مدفوعين بقوى تطورية غير مرئية Invisible؛ إذن فإن مفتاح التوسع المستمر للأخلاق هو توسيع المجتمع الأخلاقي إلى ما بعد البشر؛ ليشمل جميع أجزاء الطبيعة التي يترابط معها[2].

وهذا ما يؤكد عليه "ليوبولد" قائلا: "لقد قدمت عمدا أخلاق الأرض على أنها نتاج للتطور الاجتماعي؛ لأنه لا يوجد شيء مهم على الإطلاق مكتوب مثل الأخلاق. فقد يَفترض فقط تلميذ التاريخ الأكثر سطحية أن موسى (عليه السلام) كتب "الوصايا العشرة". وهذه الوصايا قد

1- المرجع السابق، ص 160.

2- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental …, Op. Cit, p. 25.

تطورت في أذهان مجتمع مفكر، ثم كتب موسى (عليه السلام) ملخصا مؤقتا عنها من أجل "مناقشتها"، أقول مؤقتا؛ لأن التطور لا يتوقف أبدا"[1].

كما أن "ليوبولد" افتتح "أخلاق الأرض" بإشارة من ثلاث فقرات إلى أوديسة هوميروس Homer's Odyssey موضحا أن البنية الأخلاقية للبشر يمكن أن تتطور بالفعل؛ فهذا المقطع لا يعرض فحسب معرفة "ليوبولد" بالأدب الكلاسيكي، ولكنه يؤكد على منظورة التاريخي الذي رُسِّخ بالفعل في جميع أجزاء المقاطعة الرملية، ويعلن نيته الإدلاء ببيان حول التطور الثقافي[2].

وهذا ما أبانه قائلا: "إن البنية الأخلاقية لتلك الأيام –قبل الميلاد– تشمل الزوجات، لكنها لم تكن قد توسعت لتشمل الرقيق البشري. وخلال ثلاثة آلاف سنة انقضت منذئذ، امتدت المعايير الأخلاقية إلى مجالات كثيرة من السلوك مع تقلص موازٍ في أولئك الذين تُحكم عليهم من وجهة نظر نفعية فحسب"[3].

وقد تطورت تلك المعايير إلى مجالات السلوك من خلال آلية واحدة، وهي استحسان الأفعال واستهجانها من المنظور الاجتماعي، وهذا ما أشار إليه "ليوبولد" أن آلية العمل هي نفسها لأي أخلاق، الاستحسان الاجتماعي للأفعال الصحيحة، والاستهجان الاجتماعي للأفعال الخاطئة[4]. فعملية تطور أخلاق الأرض عند "ليوبولد" هي عملية فكرية وعاطفية

1- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 225.

2- Meine, Curt: Building "Land Ethic", Op. Cit, pp. 176.

3- ليوبولد، ألدو: أخلاق الأرض، مرجع سابق، ص 145-146.

4- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 225.

على حد تعبيره؛ فمن الحقائق البديهية أنه مع تقدم الحدود الأخلاقية من الفرد إلى المجتمع، يزداد محتواها الفكري[1].

يتضح مما سبق، أن "ليوبولد" قد صاغ أخلاق الأرض بوصفها عملية تطورية للأخلاق الفلسفية، فقد صرح بذلك قائلا: "إن كل الأخلاق هي عملية تطور بيئي"[2]. وقد أشار إلى أن تعريف الأخلاق بيئيا وتعريفها فلسفيا يعنيان الشيء نفسه؛ فبيئيًّا تعني تقييد حرية الأفعال في النضال من أجل البقاء، وفلسفيًّا تعني المفاضلة بين السلوك الاجتماعي والسلوك المضاد للمجتمع[3]. وكذلك أيضا أدى التعاون الطبيعي أو العلاقة التكافلية Symbiotic بين الأفراد في الساحتين السياسية والاقتصادية إلى تدخل العلاقات الأخلاقية بالضرورة للحد من ممارسة المنافسات الأنانية[4].

يبدو واضحا مدى تأثر "ليوبولد" بالنظرية التطورية عند "داروين"، فكيف للأخلاق أن تكون ممكنة طبقا لوجهة النظر التطورية؟ إذا كان الأفراد الأكثر قدرة على المنافسة هم فقط من ينجبون ويتكاثرون، فيبدو أن الأخلاق بهذا المعنى لن تتطور، وأن هذا التعاون سينقطع، وأن الأفراد الذين يؤمنون بالإيثار سوف يموتون، وأن أولئك الذين لديهم القدرة على منافسة الآخرين هم فقط من سيبقون على قيد الحياة. فكيف يمكن أن تنشأ الأخلاق وتتطور في ظل القيود المفروضة على حرية الفعل في النضال من أجل البقاء – كما أشار ليوبولد"[5].

---

[1]- Loc. Cit.

[2]- Ibid, p. 202.

[3]- ليوبولد، ألدو: أخلاق الأرض، مرجع سابق، ص 146.

[4]- Shook, R. John: The Dictionary of Modern American …, Op. Cit, p. 1445.

[5]- Nelson, P. Michael: Aldo Leopold, Environmental Ethics, and The Land Ethic, Wildlife Society Bulletin, Vol.26, No.4, Wiley, (Winter., 1998), p. 743.

يشير "د. مايكل نيلسون" إلى أننا نعلم جميعا أن السلوك الأخلاقي موجود، فكيف يكون ممكنا، وكيف نشأ؟ وكيف استمر في العالم؟ ثم يعرض تناول "داروين وليوبولد" الإجابة قائلا: "تنشأ الأخلاق من أجل تسهيل عملية التعاون الاجتماعي؛ فالعديد من الحيوانات في بعض النواحي حيوانات اجتماعية، وكذلك البشر حيوانات اجتماعية بشكل مكثف، وهناك سمة أساسية للحيوانات الاجتماعية وهي العيش في بيئة اجتماعية. وبسبب هذه النقطة تنشأ الأخلاق؛ لأننا لا نستطيع العيش في بيئة اجتماعية دون فرض نوع من القيود على حريتنا في الفعل"[1].

ثم يستطرد قائلا: "كيف تتطور الأخلاق وتنتشر؟ كيف تطورت الأخلاق الاجتماعية الواسعة؟ كيف يمكن أن تتطور أخلاق الأرض؟ تكمن الإجابة – كما يشير ليوبولد – في توسيع الاعتبار الأخلاقي (مشاعر التعاطف الأخلاقي) لمن نعتبرهم في مجتمعنا، وينتشر الشمول الأخلاقي مع انتشار إحساسنا بالمجتمع"[2].

نستنتج من كل ما سبق، أن "ليوبولد" ينظر إلى الأرض على أنها "كائن حي" Living Organism، فتشكل الأرض ومُكملاتها – النباتات والحيوانات والمياه – مجتمعا حيويا، وهي أجزاء مترابطة ومتكاملة بشكل كلي، وتحدد أخلاق الأرض معايير المجتمع الحيوي على أنه "هرم بيولوجي"؛ طبقة نباتية تقع على التربة، وطبقة حشرية على النباتات، وطبقة طائر وقوارض على الحشرات، وهكذا دواليك، حتى نصل إلى طبقة القمة التي تتكون من آكلات اللحوم. والأرض نفسها ليست تربة في الحقيقة، إنها ينبوع للطاقة يتدفق عبر دائرة من التربة والنباتات والحيوانات، ويتدفق ينبوع الطاقة بشكل دوري في جميع طبقات الأرض،

---

[1]- Loc. Cit.

[2]- Ibid, p. 744.

ولكي يعيش كل عضو في الهرم الأرضي، ينبغي أن يكون هناك اعتماد متبادل وتوازن في الكلية الشاملة[1].

المحور الرابع: الضمير البيئي.

عملية المحافظة على الأرض هي عملية اعتراض على الاستخدام المدمر للأرض، وتسعى إلى الحفاظ على منفعة المناظر الطبيعية وجمالها[2]. وعرفها "ليوبولد" بأنها: "حالة من الانسجام بين الإنسان والأرض"[3]. فلا يمكننا الاعتزاز باليد اليمني وقطع اليسرى، وهذا يعني أنه لا يمكننا أن نحب الطريدة ونكره الحيوانات المفترسة، لا يمكننا الحفاظ على المياه وإهدار مجالها، لا يمكننا بناء غابة وزراعة الألغام بها، فإذا كانت آلية الأرض كلها جيدة، فكل جزء منها جيد، سواء فهمنا ذلك أم لا[4].

وقد أدرك "ليوبولد" أن قضايا الحفاظ على البيئة والطبيعة ليست قضايا ضيقة وشخصية، ولكنها متعددة الأبعاد، مثل: النمو السكاني المتزايد، وتغير المناخ، وأزمة انقراض الأنواع العالمية... والمخلفات الكيميائية، وغيرها[5].

1- Gladwin, Derek: The Steinbeckian Land Ethic; Environmentalism and "The Red Pony", The Steinbeck Review, Vol.4, No.1, Pennsylvania: Penn State University Press, (Spring., 2007), P. 67.

2- Knight, L. Richard: Ecosystem Management and Aldo Leopold, Range Lands, Vol.17, No.6, Kansas: Allen Press, (Dec., 1995), p. 182.

3- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 207.

4- Kellert, R. Stephen: Aldo Leopold and the Value of Nature, In: "Aldo Leopold and the Ecological Conscience, ed by: Richard L. Knight and Suzanne Riedel, New York, Oxford University Press, Inc., 2002, p. 134.

5- Knight, L. Richard and Riedel, Suzanne (ed by): Aldo Leopold and the Ecological Conscience, New York, Oxford University Press, Inc., 2002, p. 11 (XI).

ويستطرد "ليوبولد" موضحا أن عملية المحافظة على الأرض تسير بخطى بطيئة جدا، مثل خطى الحلزونة، ولا يزال التقدم مرهونًا –بصورة عامة– بالمعتقدات الدينية Pieties وخُطب المؤتمرات؛ فعلى مدار الأربعين عاما الماضية ما زلنا نتراجع خطوتين إلى الوراء مع كل خطوة إلى الأمام. والحل المعتاد لهذه المعضلة، هو: "تَعلم المزيد من الحفظ"، ... ولكن هل من المؤكد أن مقدار التعليم فقط هو الذي يحتاج إلى زيادة؟ هل هناك شيء آخر ينقص هذا المحتوى؟[1].

يلقي "ليوبولد" اللوم على دور الحكومات وفشلهم في حث الأفراد على تحمل المسئولية تجاه الأرض، وهذا ما أشار إليه قائلا: "إن العيب الأساس هو أننا لم نطلب من المواطن تحمل أية مسئولية حقيقية، فقلنا له إذا صوَّتَّ بشكل صحيح، وأطعت القوانين، وانضممت لبعض المنظمات، ومارست الحفظ المفيد على أرضك؛ فإن كل شيء سيكون جميلا، وستقوم الحكومة بالباقي"[2].

ثم يوضح "ليوبولد" أن هذه الصيغة تدعونا إلى عدم بذل أي جهد أو تضحية، أو تغيير في فلسفتنا للقيم، إنه يستلزم منا القليل فقط، وهذا الشيء القليل يمكن أن يفعله أي شخص محترم وعاقل من تلقاء نفسه (دون الحاجة إلى دليل أو مرشد)[3]؛ فهذه الصيغة لا تحدد أي صواب أو خطأ، ولا تفرض علينا أي التزام... فيما يتعلق باستخدام الأرض، فإنها تَحُثُّ فقط على المصلحة الذاتية المستنيرة enlightened self–interest[4].

1- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 207.

2- Leopold, Aldo: The Ecological Conscience (1947), In: The River of the Mother of God and Other Essays by Aldo Leopold, ed by: Susan L. Flader and J. Baird Callicott, Wisconsin, The University Wisconsin Press, 1991, p. 338.

3- Loc. Cit.

4- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, pp. 207-208.

ولكن، لماذا لا توجد قاعدة أخلاقية تضبط سلوكيات الإنسان تجاه الأرض؟

يشير "ليوبولد" قائلا: "عندما يسأل المرء عن سبب عدم كتابة أية قواعد تضبط السلوك الإنساني تجاه الأرض، نقول له إن المجتمع ليس مستعدا بعد لتأييدها (أي القواعد)؛ فيجب أن يسبق التعليم القواعد، لكن التعليم الحالي – في واقع الأمر – لا يذكر أية التزامات تجاه الأرض أكثر من تلك التي تمليها علينا المصلحة الذاتية"[1].

ثم يفرض "ليوبولد" فرضا حقيقيا وواقعيا لمعظم علماء الأحياء اليوم، هو: "أنه لا معنى للالتزامات دون ضمير، والمشكلة التي نواجهها هي فكرة توسيع الضمير الاجتماعي من الناس إلى الأرض... ولا يمكن تحقيق أي تغيير ملحوظ في السلوك البشري دون تغيير داخلي في تأكيداتنا الفكرية وولاءاتنا وعواطفنا وقناعاتنا"[2].

يُطلق "ليوبولد" على هذه الالتزامات اسم "الضمير البيئي" Ecological Conscience؛ فإذا كان علم البيئة هو علم المجتمعات، فإن الضمير البيئي هو أخلاق حياة هذا المجتمع... وقد اعتقد أنه سيظهر عدم جدوى محاولة تحسين شكل الأرض، دون تحسين أنفسنا[3].

فإذا كانت الأخلاق البيئية الفعالة يجب أن توفر دافعا يحرك داخل قلب الإنسان شغفا لاكتشاف وفعل ما يجب علينا فعله تجاه الطبيعة، فإن أخلاق الأرض عند "ليوبولد" تهدف

1- Ibid, pp. 208-209.

2- Leopold, Aldo: The Ecological Conscience (1947), Op. Cit, p. 338.

See Also: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 209.

3- Leopold, Aldo: The Ecological Conscience (1947), Op. Cit, p. 340.

إلى تسخير شغف الروح البشرية بوصفها حافزا متفوقا (أسمى) لرعاية الطبيعة، وعندما ننظر إلى الأرض بوصفها مجتمعا حيويا ننتمي إليه، فقد نبدأ في استخدامها بمحبة واحترام[1].

وهذا ما أشار إليه عالم البيولوجيا الشهير في مجال المحافظة على البيئة "إدوارد أوسبورن ويلسون" E. O. Wilson (1929م –) – نقلا عن معين روية – الذي يعتقد أن البشر لديهم حاجة فطرية للانضمام إلى أشكال الحياة الأخرى على الكوكب، نوع من الغريزة يدعوها النزوع البيولوجي Biophilia[2]. وهذا النزوع البيولوجي كان عنوان كتابه الذي نُشر عام 1984م، والاستنتاج الرئيس الذي خلص إليه بشكل متفائل كما يقول: "حينما نصل إلى الدرجة التي نتوصل فيها إلى فهم الكائنات الحية الأخرى، سنضع قيمة أكبر عليها وعلى أنفسنا"[3]. وخلص أيضا إلى أن علم البيولوجيا الحديث أنتج طرقا جديدة للنظر إلى العالم تتناسب تماما مع الاتجاه الداخلي للنزوع البيولوجي، وتلك الغريزة تتماشى مع التصور العقلي، الذي يعتقد أن استكشاف الحياة والانتماء إليها عملية عميقة ومعقدة؛ لذلك فهي ما تزال مُقيَّمة بأقل من قيمتها في الفلسفة والدين؛ لذلك فإن وجودنا يعتمد على نزوعنا البيولوجي نحو الطبيعة[4].

نعود مرة أخرى إلى "ليوبولد"، فتظهر لنا المشكلات المتعلقة بأخلاق الأرض أن هناك حاجات مشتركة واحدة، وهي أن ممارسات المحافظة على الأرض ينبغي أن تنبع من الضمير البيئي، ومن الاقتناع بما هو صحيح أخلاقيًا وجماليًا، وكذلك ما هو مناسب اقتصاديًا، فلا

1- Silvius, E. John and Holtzman, T. Lynn: Leopold Appealed to Conscience, Bioscience, Vol.56, No.5, Oxford: Oxford University Press, (May., 2006), p. 373.

2- رومية، معين (المحرر والمترجم): مدخل إلى الفكر الإيكولوجي، مرجع سابق، ص 138.

3- Wilson, O. Edward: Biophilia, Cambridge, Harvard University Press, 1984, p. 2.

4- Loc. Cit.

يكون الشيء صحيحا إلا إذا كان يميل إلى المحافظة على سلامة المجتمع واستقراره وجماله، ويشمل ذلك المجتمع التربة والمياه والحيوانات والنباتات، وكذلك البشر[1].

ثم يوضح "ليوبولد" مجموعة من الحالات للتأكيد على هذا المعنى، فلا يكون صائبا بالمعنى البيئي، أن يُجفِّف المزارع آخر مستنقع، أو يرعى آخر الغابات، أو يقطع بستانًا في بيئته الطبيعية؛ لأنه بفعله هذا يقوم بإخراج الحيوانات والنباتات والمناظر الطبيعية، التي ينتمي إليها أعضاء في المجتمع أكثر منه، ولهم الحق في الاحترام... فكل هذه الأمور وغيرها، تسعى إلى تحقيق نوع من الحفظ من خلال تدمير نوع آخر، وبالتالي تُقوض سلامة المجتمع واستقراره[2].

ثم يشير "ليوبولد" أنه ليس هناك حاجة ملحة حول مسألة الدقة أو السرعة التي سيعمل بها "الضمير البيئي"، قائلا: "ليس لدىَّ أية أوهام حول السرعة أو الدقة التي سيعمل بها "الضمير البيئي"، فقد تطلب الأمر تسعة عشر قرنا لتمديد السلوك اللائق من إنسان إلى آخر، ولم يكتمل من هذه العملية بعد إلا نصفها، وقد يستغرق الأمر وقتا طويلا لتطوير قواعد أخلاقية لسلوك الإنسان تجاه الأرض، وفي مثل هذه الأمور لا ينبغي أن نقلق كثيرا بشأن أي شيء باستثناء المسار الذي يسير فيه"[3].

1- Leopold, Aldo: The Ecological Conscience (1947), Op. Cit, p. 345.

2- Loc. Cit.

3- Loc. Cit.

See Also: Knight, L. Richard: Aldo Leopold, the Land Ethic, and Ecosystem Management, The Journal of Wildlife Management, Vol.60, No.3, Wiley, (Jul., 1996), p. 474.

ثم يُبين أن هذا المسار واضح جدا، والخطوة الأولى فيه، هي: إلقاء ثقل أكبر على مسائل الصواب والخطأ في استخدام الأرض... ثم التوقف عن الشعور بالخوف من الحجة القائلة: "إن الأفعال الصحيحة غير ممكنة؛ لأنها لا تحقق أقصى قدر من المنفعة أو الأرباح، ويجب التغاضي عن الأفعال الخاطئة؛ لأنها مفيدة". لقد ماتت تلك الفلسفة في العلاقات الإنسانية، وقد بدأ موعد جنازتها في علاقاتنا مع الأرض[1].

ففكرة الضمير البيئي عند "ليوبولد" تؤكد بقوة على أنه ينبغي أن تتبع المحافظة على الأرض من خلال شعور الفرد بالمسئولية الأخلاقية عن الصحة العامة للأرض، وفي الوقت نفسه قلل من الدور الذي يمكن أن تؤديه الحكومات في هذا الشأن؛ لأنه رأى أن الاستخدام السليم للأرض يجب أن يعتمد على الضمير البيئي لمستخدم الأرض[2].

ويمكن النظر إلى أخلاق الأرض عند "ليوبولد" على أنها تطرح ثلاثة معايير أساسية يعمل من خلالها سلوك الفرد المسئول تجاه الطبيعة، فيشير إلى أن الفعل يكون خاطئا عندما يكون المعيار الاقتصادي هو المعيار الوحيد، ويكون صحيحا عندما يميل إلى الحفاظ على سلامة مجتمع الأرض واستقراره وجماله؛ لذلك ينبغي علينا أن نعرف الأبعاد المختلفة للسلامة والاستقرار والجمال؛ لأن هذه المعايير الثلاثة تساعدنا في توجيه أفعالنا بشأن الطبيعة، ويُفترض أن نتغلب على المعايير الاقتصادية عند الضرورة. ولكن ما الذي ينبغي علينا أن نفعله؟ يشير "ليوبولد" إلى أننا لا ينبغي أن نتصرف مثل "الخنازير الصغيرة الجشعة"، ولا بصفتنا اللوردات الذين يتحكمون في ممتلكات الأنواع الأخرى، وبشكل مباشر يعتقد أننا

1- Leopold, Aldo: The Ecological Conscience (1947), Op. Cit, p. 346.

2- Meine, Curt: Building "Land Ethic", Op. Cit, pp. 174.

ملزمون بالتصرف أو يجب علينا أن نتصرف وفقا للطبيعة في ضوء المعايير الثلاثة السابقة[1].

وختاما لهذا المحور، فقد سعى "ليوبولد" إلى المطالبة بأخلاق الأرض الشخصية من أجل المحافظة على موارد الأرض بشكل أفضل، عن طريق غرس المسئولية الشخصية والضمير البيئي في مُلَّاك الأراضي، للمساعدة في صنع السياسة البيئية في فترة السبعينيات وما بعدها؛ لذلك فمن المفيد إعادة النظر في تفكير "ليوبولد" حول اقتصاديات الأرض بوصفه أساسًا للأخلاق البيئية... فقد أدرك "ليوبولد" علاقة متبادلة بين علم البيئة والاقتصاد والأخلاق، وهى التي تظل دائما ذات علاقة بعملية صنع القرار بشأن استخدام الأراضي[2].

المحور الخامس: صحة الأرض وجمالها.

تعكس أخلاق الأرض عند "ليوبولد" وجود فكرة الضمير البيئي، وهذا بدوره يعكس لنا الاقتناع بالمسئولية الفردية عن صحة الأرض Land Health وعافيتها. ويوضح أن صحة الأرض تعني: "قدرتها على التجديد الذاتي Self-renewal الداخلي"، أما الحفظ فيعني: "جهدنا لفهم هذه القدرة والمحافظة عليها"[3].

ويعد مفهوم صحة الأرض عند "ليوبولد" مفهوما بيئيا وسكنيا عميقا، فقد اعتقد أن المكان الصحي هو المكان الكامل بيئيا، الذي تعيش فيه جميع الأنواع بشكل شرعي ومرغوب

1- Oelschlaeger, Max: Ecological Restoration, Aldo Leopold, and Beauty; An Evolutionary Tale, Environmental Philosophy, Vol.4, No. (1&2), 2007, p. 155.

2- Vaughn, F. Gerald: The Land Economics of Aldo Leopold, Land Economics, Vol.75, No.1, Madison: University of Wisconsin Press, (Feb., 1999), p. 156.

3- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 221.

فيه، بما في ذلك الحيوانات المفترسة؛ لأنها كانت موجودة من خلال عملية التكيُّفات المشتركة التي أصبحت ضرورية لكل وظيفة بيئية[1].

ثم يشير "ليوبولد" إلى أن هناك خلافات حادة بين دعاة المحافظة على البيئة، ولكن من خلال الفحص الدقيق تبين أنه يمكن إرجاع هذه الخلافات إلى مجموعتين: المجموعة (أ) تنظر إلى الأرض بوصفها تربة Soil فحسب، ووظيفتها إنتاج السلع. والمجموعة (ب) تعد الأرض آهلة نباتية وحيوانية A biota، ووظيفتها شيء أوسع من ذلك[2].

ثم لاحظ أن هناك نوعا من المفارقات الأساسية التي تكرر نفسها بين المجموعتين (أ) و(ب)، وهي: الإنسان المستعمِر مقابل الإنسان المواطن الحيوي Biotic Citizen، العلم الذي يشحذ سيفه مقابل العلم الذي ينير عالمه، أرض العبد الخادم مقابل أرض الكائن الحي الاجتماعي[3].

كرس "ليوبولد" جهدا كبيرا لفهم كيفية عمل المجتمع الحيوي واحتياجاته للعمل، إذا كان سيحافظ على قدرته الإنتاجية، وفي وقت متأخر من حياته، قام بتجميع استنتاجاته عن مفهوم معياري للأداء البيئي أطلق عليه "صحة الأرض". ثم نظر إلى هذا المفهوم بوصفه هدفا مناسبا ومطلوبا بشدة لجميع الجهود المبذولة للمحافظة على الأرض، وقبل وفاته بقليل، شجع زملاءه في حركة المحافظة على الأرض أن يتبنوها بوصفها هدفا لهم. وبفضل أخلاق الأرض حوَّل "ليوبولد" صحة الأرض من هدف مجتمعي إلى معيار أخلاقي لتوجيه السلوك

1- Kohler, E. Robert: Paul Errington, Aldo Leopold and Wildlife Ecology; Residential Science, Historical Studies in The Natural Sciences, Vol.41, No.2, California: University of California Press, (Spring., 2011), p. 243.

2- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 221.

3- Ibid, p. 223.

الفردي[1]. وهذا ما أوضحه "ليوبولد" في "المقاطعة الرملية"، من أن أخلاق الأرض "تعكس اقتناعنا بالمسئولية الفردية عن صحة الأرض"[2].

وتتحقق صحة الأرض في نظر "ليوبولد" إذا توفر لها ثلاث عناصر أساسية، هي: السلامة والاستقرار والجمال، وهذا ما أكد عليه قائلا: "الأفعال البشرية تكون صحيحة أخلاقيا عندما تدعم سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله"[3].

تشير عالمة البيئة "جوليان نيوتن" Julianne Newton – نقلا عن كاليكوت – إلى أن السمة الرئيسة لصحة الأرض عند "ليوبولد"، هي الاستقرار، والذي لم يقصد به "ليوبولد" مجتمعا له عضوية بيولوجية ثابتة، ولكنه نظام حيوي يمتلك ويحتفظ بالقدرة على تدوير العناصر الغذائية مرارا وتكرارا عند مستويات عالية الكفاءة دون خسارة كبيرة؛ فالأرض مستقرة عند "ليوبولد" عندما تكون سلاسل الغذاء منظمة بحيث تكون قادرة على توزيع الطعام نفسه عددًا غير محدود من المرات[4].

ثم تشير البروفيسورة عالمة الأحياء "مورا سي. فلانيري" إلى أن الجهود المبذولة للحفاظ على صحة الأرض وتحسينها قد ازدادت منذ أيام "ليوبولد"، ولكن القوى التي تعمل على تدمير الأرض قد زادت أيضا في الكفاءة، فلم يكن لدى "ليوبولد" دور سحري في حينه أو

1- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Op. Cit, p. 21.

2- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 221.

3- Ibid, p. 225.

4- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Op. Cit, p. 25.

في وقتنا الراهن، ولكن لغته وأفكاره الجميلة سوف تستمر في تعزيز البيئة وحمايتها في القرون القادمة[1].

أما إذا انتقلنا إلى جمال الأرض، فيشير الفيلسوف البيئي " جي. بيرد كاليكوت[•]" J. Baird Callicott(1941م –) إلى أننا لو نظرنا إلى "المقاطعة الرملية" نظرة كلية، لوجدنا أن الاستجابة الجمالية للطبيعة تبدو بالأهمية نفسها بالنسبة للمؤلف باعتبارها موقفا أخلاقيا[2]؛ فجمال المجتمع الحيوي هو مقياس مهم لصحة الأفعال أو خطئها، وهذا ما أشار إليه "ليوبولد"، افحص كل سؤال من حيث ما هو صحيح أخلاقيا وجماليا؛ فيكون الشيء صحيحًا عندما يميل إلى المحافظة على سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله، ويكون خاطئًا عندما يميل إلى غير ذلك[3].

1- Flannery, C. Maura: Aldo Leopold Reconsidered, The American Biology Teacher, Vol.60, No.2, California: University of California Press, (Feb., 1998), p. 151.

[•] "ج. بيرد كاليكوت": هو فيلسوف بيئي أمريكي، يعرف بأنه من أشهر المدافعين عن أخلاق الأرض عند "ليوبولد"، فبالنسبة إلى "كاليكوت" تضع أخلاق الأرض قيمة أساسية على الكيانات البيئية، مثل الأنواع والمجتمعات الحيوية والنظم البيئية. وقد جادل خلال أعماله لإثبات أنه يجب التضحية بالمصالح والحياة الفردية، بما في ذلك الخاصة بالأفراد البشريين، إذا كانت تتعارض مع الصالح الكلي للنظام. وهذا الشكل من الشمولية، الذي دافع عنه "كاليكوت" في أوائل الثمانينيات انتُقد باعتباره "كارها للبشر" و"فاشيًّا إيكولوجيًّا"؛ وذلك لإخضاع رفاهية الكائنات الفردية لمصلحة المجتمع الأكبر، ومن أهم مؤلفاته: "في الدفاع عن أخلاق الأرض: مقالات في الفلسفة البيئية" عام 1989م، و"ما وراء أخلاق الأرض: المزيد من المقالات في الفلسفة البيئية" عام 1999م.

See: Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Op. Cit, pp. 129-130.

2- Callicott, Baird. J: The Land Aesthetic, In: "Companion to A Sand County Almanac; Interpretive & Critical Essays", ed by: J. Baird Callicott, Wisconsin, The University of Wisconsin Press, 1987, p. 157.

3- Ibid, p. 158.

ثم يوضح "كاليكوت" أنه من الناحية التاريخية كان الدافع وراء معظم قراراتنا المتعلقة بالمحافظة على الأرض وحمايتها الجمال وليس الواجب. وعلم الجمال البيئي يدول حول جمال البيئية الطبيعية؛ لذلك قد يكون التفكير النقدي السليم في الجماليات البيئية ذا أهمية عملية أكبر من صياغة الأخلاق البيئية، فالأخلاق مرهقة وشاقة ومتعبة، وهذا وفقا لتعريف "ليوبولد" الخاص بأنها تعمل على: "تقييد حرية الفعل في النضال من أجل البقاء" هذا من ناحية، أما الجمال فجذاب وممتع، من ناحية أخرى[1].

الواجب يتطلب في كثير من الأحيان التنصل منه، أما الجمال فشيء جذاب ومُغرٍ، نحبه ونتعلق به، ومن ثم فإن ثَقله في الجمهور أيسر، كما دعا "ليوبولد" إلى الذوق الرفيع في الأشياء أو الموضوعات الطبيعية[2].

فجمال الأرض أكثر انتشارا من أخلاق الأرض، إلا أنها مبعثرة في جميع أنحاء مقاطعة الرمل، وبعض مقالات "ليوبولد" الأخرى خاصة تلك الموجودة في Round River. ومن المؤكد أن جمالية الحفظ متضمَّنة في النتيجة Upshot في "مقاطعة الرمل"، لكنها تهتم أكثر بجمال الاستجمام في الهواء الطلق أكثر من اهتمامها بمبادئ الحكم الجمالي الطبيعي[3].

وهناك خمسة أسباب مختلفة يلجأ إليها الناس من أجل الاستمتاع الجمالي بالطبيعة، هي:

1- Loc. Cit.

2- Loc. Cit.

3- Loc. Cit.

1- الحصول على الغنيمة، مثل: صيد الغزلان أو البط، أو صيد الأسماك، أو التقاط الصور، أو جمع صدف البحر، وما إلى ذلك، ويؤدي هذا إلى إتلاف البيئة الطبيعية، وهذا يرفضه "ليوبولد".

2- البحث عن العزلة والشعور بالوحدة مع الطبيعة.

3- الحصول على الهواء النقي والاستمتاع به، ولا يدمر الاستخدام الجماعي هذه القيمة ولا يضعفها.

4- المتعة الجمالية في دراسة الطبيعة، من خلال إدراك العمليات الطبيعية التي عن طريقها تحافظ البيئة على وجودها، بمعنى آخر هناك متعة في مراقبة الطبيعة والتعرف عليها، فهذا النشاط لا يستنفد الطبيعة.

5- هناك متعة في الالتصاق Husbanding بالطبيعة من خلال العمل على حمايتها من التدهور، وهذا فقط عندما يُطبَّق بعض فن إدارة الأرض من قبل شخص مُدرك واعٍ بذلك[1].

يلمح "ليوبولد" أن هذه الأساليب الخمسة يمكن النظر إليها على أنها خطوات في علاقة عميقة مع الطبيعة، وأن الذين يبحثون عن القيم الترفيهية يستهلكون مواردها... وأن تلك العلاقة لابد أن تكون نابعة من الاحترام والتقدير[2].

وهذا ما أشار إليه "ليوبولد" قائلا: "من غير المعقول بالنسبة لي أن توجد علاقة أخلاقية بالأرض دون حب واحترام وإعجاب بالأرض، وتقدير عالٍ لقيمتها. ومن حيث القيمة، أعني بالطبع شيئا أوسع بكثير من مجرد قيمة اقتصادية، أعني القيمة بالمعني الفلسفي"[1].

1- Flannery, C. Maura: Aldo Leopold Reconsidered, Op. Cit, p. 148.

2- Loc. Cit.

المحور السادس: الأسباب التي تعرقل قيام أخلاق الأرض.

حدد "ليوبولد" مجموعة من الأسباب التي تعرقل قيام أخلاق الأرض، وستعرض الدراسة لها في النقاط الآتية:

أولا: كون الأنظمة التعليمية الاقتصادية تتجه بعيدا عن الوعي المرتبط بشدة بالأرض، فالمودم الحقيقي True Modem الخاص بالإنسان معزول عن الأرض عن طريق عدد من الوسطاء والأدوات المادية التي لا تعد ولا تحصى؛ أي ليس للإنسان علاقة حيوية بها، فهي بالنسبة له تعني المساحة الواقعة بين المدن، وهى التي تنمو عليها المحاصيل. وإذا تركنا الإنسان مدة يوم واحد طليقا في الأرض، فإنه سيحول المكان إلى ملعب غولف أو منطقة ذات مناظر خلابة، وإذ لم يفعل ذلك، فسوف يشعر بالملل والضجر[2].

لذا فنحن بحاجة إلى الوعي البيئي، وهذا ينتج من دور التعليم في توفير الوعي، وحدود علم الاقتصاد في التصرف بناء على أخلاق الأرض بوصفها خطوة تالية من التسلسل التطوري، والحاجة إلى فهم أساس أكثر للعمليات البيئية، وإيقاظ الضمير البيئي من سُبَاته[3].

ثانيا: هذه النقطة تكاد تكون بالقدر نفسه من الخطورة بوصفها عقبة أمام قيام أخلاق الأرض، وهي موقف المُزارع الذي لا تزال الأرض بالنسبة له خصما وعدوا، أو هو مدير المهام الذي يَستعبدها ويُبقيها في العبودية؛ فمن الناحية النظرية، يجب أن تقطع ميكنة الزراعة قيود المزارعين على الأرض[4]، أو ما يسمى بعلاقة السيد بالعبد.

1- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 223.

2- Ibid, pp. 223-224.

3- Meine, Curt: Building "Land Ethic", Op. Cit, pp. 183.

4- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, p. 224.

ثالثا: أحد شروط الإدراك البيئي للأرض هو فهم علم البيئة، وهذا لا يتناسب على أية حال من الأحول مع "التعليم"، ففي الواقع يبدو أن التعليم العالي يعتمد على تجنب الحديث عن المفاهيم البيئية؛ فالفهم البيئي قد لا ينشأ بالضرورة من الدورات التدريبية التي تحمل عناوين بيئية، فقد تصنف تلك العناوين على أنها جغرافيا أو علم النبات أو الهندسة الزراعية أو التاريخ أو الاقتصاد...، ولكن مهما كانت العناوين، فإن التعليم البيئي نادر جدا[1].

يبدو أن "ليوبولد" يلقي بالمسئولية على مؤسسات التعليم العالي في أنها تتجنب بشكل متعمد الحديث عن المفاهيم البيئية. وفي ذلك كتبت أيضا عالم بيولوجيا الحفظ "غاري ميف" Gary K. Meffe (1955م –) من أن هناك أوجه قصور خطيرة في استجابة الأوساط الأكاديمية لأزمة التنوع البيولوجي، وتنتج أوجه القصور –جزئيًّا– من الرؤى الضيقة لأقسام الجامعات والتخصصات التي تمثلها[2]؛ ولهذا فإن هناك قصورًا في توصيل المفاهيم البيئية المهمة بشكل فعال إلى عامة الناس الذين ينفصلون بشكل متزايد عن العالم الطبيعي[3].

وقد أعرب "ليوبولد" عن آسفه؛ لأن الهيكل الكامل للتعليم البيولوجي كان يهدف إلى استمرارية الاحتكار المهني للبحث، خلال المناصب الأكاديمية المتميزة، التي تعمل على صياغة المعرفة البيئية بلغة تبدو غير قابلة للوصول، واخفاق التعليم في إشراك الأشخاص، الذين قد يهتمون كثيرا بالطبيعة بعمق، ويتحملون مسئولية حماية القيم البيئية[4].

1- Loc. Cit.

2- Vickerman, Sara: Aldo Leopold; A Sand County Advocate, Wildlife Society Bulletin, Vol.26, No.4, Wiley, (Winter., 1998), pp. 752-753

3- Ibid, p. 753.

4- Loc. Cit.

فمن وجهة نظر "ليوبولد" فإن الغرض من التعليم هو إعلام المواطنين بمكانهم في النظام البيئي بوصفه أساسًا للاستخدام الذكي والمستدام للأرض والموارد الطبيعية... وذلك لخلق التفاهم والاحترام والتفكير الأخلاقي لمواجهة الميول المدمرة للمجتمع نحو الأرض والموارد البيئية. وقد ظل "ليوبولد" مقتنعا أن معظم الأخطاء البيئية الناتجة، ليست بسبب البساطة والسذاجة المتأصلة في الطبيعة الإنسانية، ولكنها ناتجة عن الجهل[1].

وتتضمن آراء "ليوبولد" حول التعليم ما يلي: نهج شامل للبيئة وإدارة الموارد البيئية، والاعتراف بالحاجة إلى الممارسة والخبرة الشخصية لتعزيز التعليم، وتكامل بين القيم الإنسانية والقيم العلمية والتفكير الأخلاقي[2].

يشير أستاذ بيولوجيا الحياة البرية البروفسور "بول إل. إرينغتون[*]" Paul L. Errington (1902 – 1962م) إلى أن التعليم البيئي يتطلب مواد تعليمية مختلفة نوعا ما وأحيانا محاضرين مميزين، والهدف هو تعليم الطالب رؤية الأرض، وفهم ما يراه، والاستمتاع بما يفهمه... ولعل أهم تلك الأغراض هو تعليم الطالب كيفية الجمع بين العلوم لاستخدامها.

1- Kessler, B. Winifred and Booth, L. Annie: Professor Leopold, What Is Education For?, In: Aldo Leopold and The Ecological Conscience, ed by: Richard L. Knight and Suzanne Riedel, New York, Oxford University Press, Inc., 2002, p. 119.

2- Ibid, p. 120.

(*) "بول إل. إرينغتون": هو عالم بيئي وأستاذ بيولوجيا الحياة البرية في جامعة ولاية أيوا، ويعد أحد الرواد الأربعة العظماء لعلم بيئة الحيوان، ومن أهم مؤلفاته التي تُظهر حبه وفهمه للطبيعة: "عن البشر والمستنقعات"، و"الافتراس والحياة"، و"مسألة القيم".

See: https://www.nrem.iastate.edu/annual-paul-l-errington-memorial-lecture, In: 16-12-2020.

أقول: الأرض بدلا من الحياة البرية؛ لأنه لا يمكن فهم الحياة البرية دون فهم المناظر الطبيعية ككل[1].

رابعا: إن المفتاح الأساس الذي ينبغي وضعه من أجل إطلاق عملية تطورية للأخلاق، هو ببساطة: "التوقف عن التفكير في الاستخدام اللائق للأرض باعتبارها مشكلة اقتصادية فحسب؛ لذلك يجب فحص كل مسألة بواسطة ما هو صحيح أخلاقيا وجماليا، وكذلك ما هو مفيد اقتصاديا؛ فالشيء يكون صحيحا عندما يميل إلى الحفاظ على سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله، ويكون خاطئا عندما يميل إلى خلاف ذلك[2].

خامسا: إن الجدوى الاقتصادية تقيِّد ما يمكن أو ما لا يمكن فعله تجاه الأرض؛ فهذا يحدث دوما، وسوف يحدث باستمرار؛ فتعد هذه مغالطة ربطها الحتميين الاقتصاديين Economic Determinists حول أعناقنا الجماعية، ونحتاج إلى التخلص منها؛ وهي الاعتقاد أن الاقتصاد هو الذي يحدد جميع استخدامات الأرض. فهذا الاعتقاد ببساطة غير صحيح؛ لأنه تحدَّد مجموعة لا حصر لها من الأفعال والمواقف، التي تشكل الجزء الأكبر في جميع العلاقات مع الأرض، من خلال أذواق مستخدمي الأرض وميولهم، وليس من خلال ثرواتهم أو أموالهم، فيتوقف الجزء الأكبر في جميع العلاقات مع الأرض على توظيف الوقت والتفكير والمهارة والإيمان، أكثر من الاستثمارات المالية[3].

سادسا: هناك سبب آخر يمكن أن نضيفه، في عام 1967م نشر الباحث في العصور الوسطى "لين وايت" Lynn T. White Jr (1907 – 1987م) "الجذور التاريخية

---

[1]- Errington, L. Paul: In Appreciation of Aldo Leopold, The Journal of Wildlife Management, Vol.12, No.4, Wiley, (Oct., 1948), p. 347.

[2]- Leopold, Aldo: A Sand County Almanac and …, Op. Cit, pp. 224-225.

[3]- Ibid, p. 225.

لأزمتنا البيئية"؛ حيث ألقى باللوم على المسيحية في العصور الوسطى في إساءة استخدام العالم الطبيعي، فقد نظرت إليه باعتبار أن الله صنع العالم فقط لمجرد الاستمتاع البشري، وليس لأي أهداف أخرى، وهذا ما أطلق عليه "ليوبولد" النظرة الإبراهيمية Abrahamic للعالم الطبيعي باعتباره سلعة، مما سمح لمعظم المسيحيين الاعتقاد أن لديهم مطلق الحرية من أجل السيطرة الذاتية على الطبيعة، بوصفها عالمًا للربح والمتعة. وقد أدت هذه الأفكار إلى العنف البيئي وأزمات الثورة الصناعية، وفي القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين أدت إلى الصيد الجائر والإفراط في التنمية والاستخدام المفرط للموارد الطبيعية، مما أدى إلى الانقراض والتلوث[1].

لذلك فإن المحافظة على الموارد الطبيعية يستلزم مواجهة التحديات الآتية:

أولا: التعرف على الطبيعة الديناميكية للنظام البيئي؛ فعند تنفيذ أي إجراءات على المناظر الطبيعية، يجب علينا دمج الاعتبارات لمرونة النظام البيئي، ووضع استراتيجيات يمكنها استيعاب الأحداث غير المتوقعة أو أنظمة الاضطرابات الطبيعية.

ثانيا: مراقبة الموارد الطبيعية باستمرار، بحيث يمكن إجراء أي تعديلات مطلوبة، ويتضمن هذا النهج تجريبا مستمرا لاستراتيجيات الإدارة ونهجها، ويجب أن تظل أساليب وتقنيات الإدارة قابلة للتكيف مع أي تغيير.

ثالثا: الحرص على الحفاظ على مجموعات النباتات والحيوانات الموجودة، واستعادة بعض الأنواع التي عانت من انخفاض حاد بسبب التدخل البشري؛ فبدلا من التركيز على

1- Lorbiecki, Marybeth: A Fierce Green Fire, Aldo Leopold's Life and Legacy, New Edition, New York, Oxford University Press, 2016, p. 331.

إنشاء الموائل الاصطناعية وتحسينها لعدد قليل من الأنواع ذات الأهمية العالية، نحتاج إلى تركيز أفعالنا على استعادة كل الموائل الطبيعية وحمايتها[1].

رابعا: وضع أهداف وغايات واضحة، بما في ذلك الأهداف التي يمكن قياسها لمراقبة حالة النظام البيئي؛ فيجب أن نعرف ما لدينا قبل أن نفعل شيئا بما لدينا، وبمجرد تحقيق ذلك سنكون أكثر استعدادا لاتخاذ قرارات بشأن أفضل السبل للمضي قُدما في استعادة موارد الحياة البرية وحمايتها.

خامسا: دمج الاهتمامات الجمالية وقيم الاعتدال في مناهج الإدارات للمحافظة على البيئة، وكلا العنصرين مهمان للمحافظة على السلامة الطبيعية؛ فعندما يتمكن الناس من فهم العلاقة بين قيمة المحافظة على سلامة المناظر الطبيعية ودورها في حماية رفاهية البشر، فسوف نضيف عددًا من الناس إلى المدافعين عن تلك الموارد.

سادسا: إشراك الناس بوصفهم مشاركين نشطين وواعين بهذه العملية، ويأتي هذا من خلال تطوير مناهج تلبي احتياجات ومصالح المجموعات المختلفة داخل المجتمعات المتنوعة ثقافيا، فلم تعد برامج التوعية العامة والتعليم البيئي فعالة في عالمنا اليوم.

سابعا: تطوير الشركات، فيجب علينا أن ندرك أنه لا يمكننا القيام بالمهمة بمفردنا؛ لذا يجب أن نعتمد على الجهود التعاونية التي تشمل أصحاب المصلحة لضمان الحفاظ على المدي البعيد[2].

---

[1]- Clark, Rappaport. Jamie: Leopold's Land Ethic; A Vision for Today, Wildlife Society Bulletin, Vol.26, No.4, Wiley, (Winter., 1998), p. 722.

[2]- Ibid, pp. 722-723.

ويشير "كارت مين" Curt Meine – في مقالة بعنوان "The Once and Future Land Ethic"– إلى أنه من أجل تطوير أخلاق للأرض لكي تصبح أخلاقًا كلية، ينبغي أن تتمتع أخلاق الأرض بالقوة لفترة طويلة في المستقبل؛ لذا يجب تبني المطالب الآتية:

1- تبني جماهير جديدة واحتضانها.

2- الاستجابة للرؤى العلمية الناشئة والأسس العلمية المتغيرة.

3- التوسع عبر المشهد بأكمله، وإدراك الروابط ضمن المناظر الطبيعية بشكل تام.

4- أن تمتد لتشمل المجالات المائية والبحرية.

5- مواجهة التحديات التي يفرضها النمو السكاني البشري، والإسهام في تشكيل أخلاق استهلاك موازية.

6- المساعدة في إصلاح النظرة الاقتصادية التقليدية تجاه العالم؛ لتشمل اهتمامات الحفظ بطريقة هادفة.

7- تعزيز الوعي والتفكير النقدي لدي الشباب.

8- تدريس مناهجها في مختلف التخصصات والمهن.

9- تعزيز التوجه نحو مشروعات الحفظ الموسعة[1].

ونستنتج مما سبق، أن أخلاق الأرض تحقق نوعين من الثراء في آن واحد؛ حيث إنها لا تنفصل عن طبيعة الحفظ، وتعزز الفضائل التي يُنميها الوعي لدى الناس[1].

[1]- Meine, Curt: The Once and Future Land Ethic, Wyoming Wildlife, (January., 2007), p.p. 3-9.

المحور السابع: تقييم فلسفة "ليوبولد" حول أخلاق الأرض.

جذبت أخلاق الأرض عند "ليوبولد" اهتماما واسعا وردود فعل متضاربة؛ فيقول " جي. بيرد كاليكوت": "إن أخلاق "ليوبولد" هي الأكثر شعبية بين دعاة المحافظة على الأرض، والأقل شعبية بين الفلاسفة المحترفين، وسواء تمت الإشادة أو النقد، فقد ألقت أخلاق الأرض عند "ليوبولد" بظلالها الطويلة، ولن أكون مبالغا إذا ادعيت أنها الركيزة الأساسية للفلسفة البيئية المعاصرة"[2].

أولى الفلاسفة –الذين درسوا أخلاق "ليوبولد"– اهتماما وثيقا لأسسها الأخلاقية والطريقة التي تقارَن بها مع الطرق الرائدة لأخلاق التعامل مع الآخرين. ويطرح "كاليكوت" وهو المدافع الأبرز عن فلسفة "أخلاق الأرض" عند "ليوبولد" مجموعة من التساؤلات التي شكلت مجمل الآراء المختلفة حول تقييم أخلاق "ليوبولد" بشكل عام؛ وهي:

1- هل نشأ اهتمام "ليوبولد" المؤكد برفاهية المجتمع من الإيمان بالقيمة الأخلاقية الجوهرية Intrinsic Moral Value للمجتمع، دون النظر إلى القيم الأداتية التي ترتبط بأجزائه؟

2- هل أخلاق الأرض عند "ليوبولد" غير مرتكزة على الإنسان وتمثل نظرة كلية؟

---

[1]- Hinchman, P. Lewis: Aldo Leopold's Hermeneutic of Nature, The Review of Politics, Vol.57, No.2, Cambridge: Cambridge University Press, (Spring., 1995), p. 249.

[2]- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental, Op. Cit, p. 21.

3- هل ركز "ليوبولد" أخلاقه على أداء المجتمع؛ ليس لأن المجتمع نفسه مهم من الناحية الأخلاقية، ولكن لأن الصحة الدائمة للمجتمع ضرورية بشكل فعال لرفاهية الإنسان على المدى الطويل؟

4- هل تُفْهم أخلاق "ليوبولد" بوصفها ادعاءً أخلاقيًّا يحث البشر على الوفاء بواجباتهم الأخلاقية؟[1].

ويقول "كاليكوت" فى دفاعه عن أخلاق الأرض عند "ليوبولد": "إن أفضل طريقة لفهم أخلاق "ليوبولد" هي الادعاء أن مجتمع الأرض على هذا النحو له قيمة جوهرية، وأن البشر ملزمون بواجب احترامها من خلال تعزيز أدائها البيئي؛ وبالتالي فإن أخلاق الأرض التي وضعها "ليوبولد" لا تتمحور حول الإنسان، بل هي نظرة كلية Holistic تمتد قيمتها الأخلاقية إلى ما وراء البشر، إلى مجتمع الأرض وواجباته الأخلاقية[2].

إلا أن "برايان جي. نورتون[•]" Bryan G. Norton قدم تفسيرا مغايرا؛ فقد اعتبر أخلاق "ليوبولد" في الأساس نتاج جهود برغماتية لتعزيز المحافظة على الأراضي؛ فهدفه الأساس كان صياغة أخلاق من شأنها أن تدفع الناس للعيش بطريقة تعزز رفاهية الإنسان على المدى الطويل، وبهذا تظل أخلاق "ليوبولد" ضمن النموذج المحوري المتمركز حول

1- Ibid, p. 23.

2- Loc. Cit.

[•] برايان جي. نورتون: أستاذ الفلسفة في معهد جورجيا للتكنولوجيا، كتب عن العدالة بين الأجيال ونظرية الاستدامة وسياسة التنوع البيولوجي وطرق التقييم، وتخصُّصه الأساس هو دمج اعتبارات القياس المكاني والزماني في معايير الاستدامة. وله عديد من المؤلفات المهمة، منها: "الأطر اللغوية والأنطولوجيا" عام 1977م، و"لماذا نحافظ على الأصناف الطبيعية؟" عام 1987م، و"نحو الوحدة بين دعاة حماية البيئة" عام 1991م، و"البحث عن الاستدامة؛ مقالات متعددة التخصصات في فلسفة بيولوجيا الحفظ" عام 2002م.

See: https://islandpress.org/author/bryan-g-norton, In: 19-12-2020.

الإنسان، ومن الأفضل تشبيهها بالمنظور الأخلاقي البراغماتي عند "وليام جيمس" W. James (1882 – 1910م) و"تشارلز ساندرز بيرس" C. Peirce (1839 – 1914م) و"جون ديوي" J. Dewey (1859 – 1952م) ، وليس من منظور "كانط" I. Kant (1724 – 1804م)، أو أي وجهات نظر أخلاقية أخرى[1].

ويرى "نورتون" أن "ليوبولد" تصرف بناء على ما يسميه "فرضية التقارب أو الالتقاء" Convergence Hypothesis، ووفقا لهذه الفرضية، لا تختلف مصالح البشر ومصالح الطبيعة إلا على المدى القريب؛ فإذا أدركنا إلى أي مدى يكون الجنس البشري جزءا لا يتجزأ من مجتمع الحياة، فإن المصالح البشرية طويلة المدى تتوافق مع مصالح الطبيعة، فحماية الحياة وحفظها لحماية المدى البعيد للجنس البشري وخلفائه التطوريين[2].

ثم يوضح "نورتون" أن مجتمع الأرض عند "ليوبولد" لا يمتلك قيمة أخلاقية جوهرية على هذا النحو؛ وبالتالي فإن أخلاقه ليست أخلاق واجبات ولا حتى أخلاق كلية، لأن المجتمع هو ببساطة التركيز العملي الأكثر سلامة لجهود الحفظ المصمَّمة لتعزيز الازدهار البشري على المدى الطويل. ثم يفسر "نورتون" اختلافات "ليوبولد" بين النفعية والأخلاق على أنها تشير فقط إلى النزاعات حول إرضاء التفضيلات البشرية قصيرة المدى على حساب

1- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental.., Op. Cit, p. 23.

2- Norton, G. Bryan: Searching for Sustainability; Interdisciplinary Essays in the Philosophy of Conservation Biology, Cambridge, Cambridge University Press, 2004, p. 28.

رفاهية الإنسان على المدى الطويل، ومع أخذ البشرية جميعا في الحسبان، تتضافر المصالح النفعية والأخلاق معا[1].

ولكن، هل أخلاق الأرض عند "ليوبولد" أخلاق واجبات أم أنها أخلاق تعقلية Prudential؟

يجيب "كاليكوت" على هذا التساؤل بأن كليهما يعتمد على الاتساق الداخلي الذاتي على حد سواء: فمن الداخل؛ لأنها تمثل وجهة نظر معيشية وشعورية لعضوية المجتمع ذي الحساسية الأخلاقية المتطورة، لذلك فهي أخلاق واجبة؛ لأنها تحتوي على مواقف إدراكية وعاطفية Offective–Cognitive Posture تتمثل في الحب الصادق والاحترام والإعجاب والتضحية بالنفس والضمير والواجب وإسناد القيمة الجوهرية والحقوق الحيوية. ومن الخارج، تمثل وجهة نظر علمية وموضوعية وتحليلية؛ لذلك فهي تعقلية[2].

ولعل هناك إشكالية أخرى في فلسفة "ليوبولد" لأخلاق الأرض، وهي أن رفع الكل فوق الأجزاء يعني جعل الأجزاء خاضعة أخلاقيا وضمنيا؛ فيبدو أنه من الجائز أخلاقيا –إن لم يكن إلزاميا– تقليل عدد الأنواع، بما في ذلك البشر، عندما تكون هناك حاجة إلى أعداد أقل لدعم الأداء الصحي للمجتمع. وكانت هذه تهمة الفاشية البيئية، التي تنص على احتمالية قتل البشر، بل ينبغي قتلهم إن لزم الأمر باسم حماية مجتمع الأرض.

1- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental…, Cit, p. 23.

2- Callicott, Baird, J: The Conceptual Foundations of The Land Ethic, In "Companion to A Sand County Almanac; Interpretive & Critical Essays", ed by: J. Baird Callicott, Wisconsin, The University of Wisconsin Press, 1987, p. 214.

دافع "كاليكوت" عن تلك الإشكالية برد دقيق؛ فأخلاق الأرض عند "ليوبولد" لم يكن القصد منها أن تحل محل المعايير الحالية للأخلاق الشخصية،... وفي الواقع يرد موقف "كاليكوت" الكلي الأساليب المميتة لتقليل الأنواع غير البشرية، فبالتأكيد لم يبرر قتل البشر. وبهذا المنطق، قوض "كاليكوت" تهمة كون كلية "ليوبولد" شكلًا من أشكال الفاشية؛ ومع ذلك فإن أخلاق "ليوبولد" غير قادرة على تقديم إرشادات واضحة عندما تدعو ادعاءات الأفراد المستحقين أخلاقيا إلى أفعال تتعارض مع الاحترام الأخلاقي لمجتمع الأرض، وبالتالي لتطبيق أخلاق "ليوبولد" أصبح من الضروري إنشاء قاعدة من الدرجة الثانية من شأنها دمج أخلاق الأرض مع المعايير الشخصية الموجودة بالفعل[1].

فأخلاق الأرض الكلية عند "ليوبولد" ليست حالة من الفاشية؛ فالمقصود من أخلاق الأرض أن تكمل –لا أن تحل محل– الأخلاق الاجتماعية الأكثر توقيرا، ذلك لأنها تتمة أو إضافة؛ ولذا فعندما تكون الواجبات الموجهة بيئيا تتعارض مباشرة مع الواجبات الفردية الموجهة بشريا، تحظى هذه الأخيرة بالأولوية[2].

ويبدو أن هناك تساؤلا آخر يطرح نفسه، هل انتهت صلاحية أخلاق "ليوبولد"؟

على الرغم من دفاع "كاليكوت" عن أخلاق الأرض عند "ليوبولد"، إلا أنه شكك في قدرة أخلاق "ليوبولد" على الاستمرار؛ بسبب التغيرات التي طرأت على الفكر البيئي منذ يومه، وقد شارك "كاليكوت" مخاوف عديد من الأشخاص الذين يرون أن أخلاق "ليوبولد" بمثابة

---

[1]- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental.., Op. Cit, p. 24.

[2] - كاليكوت، ج. بيرد: الأخلاق البيئية الكلية ومشكلة الفاشية الإيكولوجية، ضمن كتاب: "الفلسفة البيئية؛ من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية"، جـ 1، تأليف: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، مجلة عالم المعرفة، العدد (332)، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، 2006م، ص 183-184.

ارتداد إلى حقبة سابقة مشوهة للفهم البيئي. وقد افترض "كاليكوت" في نقده أن "ليوبولد" شارك الأفكار البيئية التي سيطرت على عصره، مثل معاصريه، فقد نظر إلى الأنظمة الطبيعية على أنها منظمة في مجتمعات متماسكة ومستمرة وتحتفظ بتكوينها وعملها، حتى تضطرب بفعل قوى خارجية، غالبا ما تكون بشرية المنشأ[1].

ثم تعهد "كاليكوت" بمراجعة أخلاق "ليوبولد" لجعلها أكثر ديناميكية: أي تضمينها إشارة صريحة إلى التغييرات المستمرة في الطبيعة، وإلى قدرة الناس دون انتهاك الأخلاق على تغيير الأرض في نطاقات مكانية وزمانية بطيئة نسبيا... فلم ترتكز أخلاق "ليوبولد" بشكل أساس على التكوين البيولوجي للمجتمع، وهو جزء الطبيعة الذي يراه علماء البيئة على أنه الأكثر ديناميكية، وبدلا من ذلك ركز على الأداء البيئي للمجتمع، لا سيما قدرته على تدوير المغذيات بكفاءة؛ وهو جانب من جوانب أداء المجتمع الأقل عرضة للتغيير، وبالتالي فإن التأكيدات المعاصرة على التغييرات الديناميكية في تكوين المجتمع قد لا تطرح مشكلات إلى أخلاق الأرض عند "ليوبولد"[2].

ولكن، لماذا كل هذه الاختلافات على فلسفة أخلاق الأرض عند "ليوبولد"؟

يشير "كاليكوت" إلى أنه مع استثناءات قليلة، لم تلق "أخلاق الأرض" عند "ليوبولد" استحسانا من قبل الفلاسفة الأكاديميين المعاصرين، لقد تجاهلها معظمهم. وبعض الفلاسفة لم يتجاهلوها، ولكنهم إما كانوا منزعجين منها أو معادين لها. فقد رفضها الفيلسوف الأسترالي

---

[1]- Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert: Encyclopedia of Environmental.., Op. Cit, p. 25.

[2]- Loc. Cit.

المتميز "جون باسمور[*]" John Passmore (1914 – 2004م) تماما في أول مناقشة أكاديمية له على كتابه حول الفرع الفلسفي الجديد المسمى "أخلاق البيئة". وفي نقاش أكثر حداثة، قام الفيلسوف الأسترالي "إتش. جي. مكلوسكي" H. J. McCloskey (1925م –) برعاية أفكار "ليوبولد"؛ حيث ألقى على أخلاق الأرض مختلف التفسيرات بعيدة المنال، وخلص إلى أن هناك مشكلة حقيقية في إسناد معنى متماسك لتصريحات "ليوبولد"، التي تظهر أن أخلاق الأرض تمثل تقدما كبيرا في الأخلاق بدلا من الأخلاق الرجعية التي تتبناها مختلف الشعوب البدائية[1].

كما ذهب الفيلسوف الإنجليزي "روبن أتفيلد" Robin Attfield (1931م –) إلى الطعن في التقدير الفلسفي لأخلاق الأرض، وهذا ما أطلق عليه الفيلسوف الكندي "إل. دبليو. سومنر" L. W. Sumner (1941م –) بأنها "هراء خطير"، وأنها عادة ما تُقْتَبَس ببساطة كما لو كانت أكثر بقليل من نداء أخلاقي نبيل، ولكنها ساذجة، وتفتقر إلى الإطار النظري الداعم؛ أي المبادئ الأساسية والمقدمات التي تؤدي من خلال حجة مقنعة إلى مبادئ أخلاقية[2].

---

[*] جون باسمور: فيلسوف استرالي، مؤرخ للأفكار بقدر ما كان فيلسوفا؛ فقد أولى اهتماما دقيقا للسياق التاريخي المعقد للمشكلات الفلسفية، ويشير في كتابه "مسئولية الإنسان عن الطبيعة" الذي نشر عام 1974م، إلى أن هناك حاجة ملحة لتغيير موقفنا تجاه الطبيعة، وأن البشر لا يمكنهم الاستمرار في الاستغلال غير المقيد للمحيط الحيوي، وكان "باسمور" متشككا للغاية من فكرة إسناد القيمة الجوهرية للطبيعة، وكان موقفه المفضل هو تقدير الطبيعة بقدر ما تسهم به في ازدهار الكائنات الحية، بما في ذلك البشر، ومن أهم مؤلفاته الأخرى: "مائة عام من الفلسفة" نشر عام 1957م، و"العلم ونقَّاده" عام 1978م، و"الفلاسفة الجدد" عام 1985م.

See: https://en.wikipedia.org/wiki/John_Passmore, In: 19-12-2020.

1- Callicott, Baird, J: The Conceptual Foundations …, Op. Cit, pp. 186-187.

2- Ibid, p. 187.

يشير "كاليكوت" إلى أن هذا الارتباك في بعض الحالات نحو أخلاق الأرض، يرجع إلى ثلاثة أشياء:

1- أسلوب "ليوبولد" النثري المكثف للغاية، الذي مكنه من نقل مجموعة معقدة من المفاهيم واختصارها في بضع جمل، أو حتى عبارة أو عبارتين.

2- ابتعاد "ليوبولد" عن الافتراضات والنظريات الخاصة بفلسفة الأخلاق المعاصرة.

3- الآثار العملية المقلقة التي يبدو أن أخلاق الأرض تقود إليها.

4- باختصار، هي وجهة نظر فلسفية مختصرة وغير مألوفة وراديكالية[1].

ولكن تظل هناك إشكالية تثير أسئلة حول قيمة النظم الصحية لرفاهية الإنسان؛ فعادة ما يتم تجاهلها في سياق الفوائد الاقتصادية والبيئية في بعض الأحيان؛ فهذا ليس مفاجئا بالنظر إلى مجتمعنا الذي يحركه السوق والموجة عمليا؛ فهناك ميل للبت في القضايا ذات الأهمية البيئية على أساس الأدلة التجريبية، ومعايير القيمة الأخرى القابلة للقياس الكمي والموضوعي. هذا التركيز السائد على الفوائد الاقتصادية القابلة للقياس يميل إلى حجب العلاقات الشخصية التي يصعب قياسها بالعالم الطبيعي، والتي شكلت تقليديا التجربة الإنسانية، علاوة على ذلك يُنظر إلى قيمة الطبيعة على أنها مستقلة عن الثقافة والتاريخ البشري. وعلى النقيض من ذلك، عندما نفحص أنظمة القيم البيئية في سياقها الثقافي، نجد تنوعا كبيرا في المعاني والفوائد المنسوبة إلى الطبيعة، وتؤكد وجهة النظر النسبية هذه على

[1]- Loc. Cit.

وجود وجهات نظر جمالية وأخلاقية وروحية متميزة في تحديد قيمة الطبيعة بين أفراد وثقافات وظروف تاريخية معينة[1].

وهذا الموقف النسبي يؤكد عادة ثلاثة افتراضات حول علاقة الطبيعة والإنسان، وهي:

أولا: المفاهيم البيئية للناس متغيرة ومرنة بشكل غير عادي، وهي نتاج التقاليد الاجتماعية، وأماكن السلطة، والظروف التاريخية المتميزة.

ثانيا: يَنظر إلى البشر على أنهم يمتلكون قدرات غير عادية، وربما فريدة؛ لتجاوز ما تمليه الوراثة والبيولوجيا في جنسنا البشري.

ثالثا: يشير الموقف النسبي إلى أن القيم التي تضعها الشعوب المختلفة على الطبيعة في أماكن وأوقات معينة ليست جيدة ولا سيئة في حد ذاتها، وبدلا من ذلك يُنظر إلى "بنية القيم" على أنها انعكاس لقوة معينة وعلاقات اقتصادية سائدة في ذلك الوقت[2].

لقد أدرك "ليوبولد" أن كلا المنظورين الموضوعي والنسبي يحتويان على عناصر مهمة من الحقيقة، والأهم من ذلك، أن هذه الحقائق ليست متعارضة. وأدرك "ليوبولد" أن هناك تباينا كبيرا يحدث في تصورات الناس للطبيعة، ولكنها تنشأ من اعتمادنا البيولوجي والجيني على العالم الطبيعي. وفي تطوير هذا الفهم ذهب إلى أبعد من النفعية الاقتصادية الضحلة، ووصل إلى فهم أعمق بكثير لفهم كيف أن الفهم الجمالي والعاطفي والأخلاقي للعالم الطبيعي يعكس بشكل أساس اعتمادنا البيولوجي على النظم والعمليات الطبيعية[3].

---

[1]- Kellert, R. Stephen: Aldo Leopold and the Value of Nature, Op. Cit, p. 129.

[2]- Ibid, pp. 129-130.

[3]- Ibid, p. 130.

ترجع الإرهاصات الأولى لفلسفة أخلاق الأرض عند "ليوبولد" إلى معتقدات الهنود الأمريكيين الذين كانوا يؤمنون بوحدة العالم الطبيعي والعالم البشري. أضف إلى ذلك أنه في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، قادت المعتقدات الدينية الفيلسوف الأمريكي "هنري ديفيد ثورو" Henry David Thireau (1817 – 1862م) إلى توسيع مفهومه للمجتمع ليشمل كلًّا من الطبيعة ومخلوقاتها. وكذلك نظر عالم التاريخ الطبيعي الأمريكي "جون موير" John Muir (1938 – 1914م) إلى الطبيعة على أنها مجتمع خلقه الله، وينتمي إليه البشر أيضا[1].

كما يعكس التطور الفكري عند "ليوبولد" تاريخ الفكر البيئي والتطوري؛ فعندما نبحث عن المصادر التي أثْرت التطور الفكري لديه، فمن الواضح أن معرفته بأبحاث مهنة الحياة البرية وخبراته على الأرض أدت دورا مهما. وكان على القدر نفسه من الأهمية تقديره العميق وإدماجه البارع للأطر التاريخية والنظرية الجمالية والرؤية الفلسفية والميول الإنسانية الأخرى... وقد تمثل ذلك – كما يشير المؤرخ رودريك ناش R. Nash– فى دمج "ليوبولد" للاكتشافات العلمية لـ"داروين" و"فريدريك كليمنتس" Frederic Clements (1874 – 1945م) و"تشارلز إلتون" Charles Elton (1900 – 1991م)، وكذلك احتضانه لبعض الكتاب الذين كتبوا حول الطبيعة، مثل "جون موير" و"هنري ديفيد ثورو" و"ويليام بوروز" William Burroughs (1914 – 1997م)[2].

وأخيرا، يشير "كاليكوت" إلى أن اسهام "ليوبولد" الأصل في الأخلاق البيئية يحظى باعتراف وتقدير عالمي... فعلى الرغم من أن هناك ارهاصات أولية لفكره من قبل "ثورو"

1- Frese, J. Stephen: Aldo Leopold; An American Prophet, Op. Cit, p. 105.

2- Shilling, Dan: Aldo Leopold Listens to the Southwest, Journal of the Southwest, Vol.51, No.3, Arizona: University of Arizona, (Autumn., 2009), p. 327.

و"داروين" و"موير"، إلا أنها تعد أول محاولة منهجية للوعي البيئي في الأدب الغربي الحديث، لتطوير نظرية أخلاقية من شأنها أن تشمل الطبيعة الإنسانية والطبيعة الأرضية ككل في نطاق الأخلاق[1].

نتائج الدراسة.

تأسيسا على ما سبق، فقد آلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

أولا: تمثل أخلاق الأرض عند "ليوبولد" نظرة كلية حدد من خلالها طبيعة العلاقة بين الكائنات البشرية بالعالم الطبيعي، وتقوم تلك العلاقة على أساس نظرة الاحترام والتقدير لجميع أشكال الحياة ضمن المجتمع الحيوي.

ثانيا: يقصد "ليوبولد" بأخلاق الأرض احترام جميع أشكال الحياة داخل المجتمع الحيوي، وأن البشر هم مواطنون عاديون فيه؛ لذا ينبغي عليهم احترام كل ما فيه وتقديره. فأخلاق الأرض تُغير دور الإنسان العاقل من مجرد مستعمِر لمجتمع الأرض إلى مجرد عضو عادي فيه، ويجب عليه احترام زملائه واحترام كافة أشكال المجتمع الحيوي.

ثالثا: الفرد عند "ليوبولد" مجرد عضو في مجتمع من أجزاء مترابطة، تدفعه غرائزه إلى التنافس على مكانته في هذا المجتمع، بينما تدفعه أخلاقه إلى التعاون؛ فأخلاق الأرض تعمل على توسيع حدود المجتمع ليشمل التربة والمياه والحيوانات والنباتات.

رابعا: أصل القاعدة الأخلاقية في أخلاق الأرض عند "ليوبولد" أنه: تكون الأفعال الإنسانية صحيحة إذا حافظت على سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله، وتكون خاطئة إذا خالفت ذلك.

---

[1]- Callicott, Baird. J: The Land Aesthetic, Op. Cit, p. 157.

خامسا: وصف "ليوبولد" قوى تطورية تدافع عن المجتمعات بمرور الوقت؛ وذلك لتوسيع مدى وصولها إلى المُثل الأخلاقية؛ فمع قليل من التفكير الواعي، سيوسع أعضاء المجتمع الأخلاقي حجم المجتمع وتكوينه مدفوعين بقوى غير مرئية، ومفتاح التوسع المستمر للأخلاق هو توسيع المجتمع الأخلاقي إلى ما وراء البشر؛ ليشمل جميع أجزاء المجتمع الحيوي الذي يترابط معه. ومعيار هذا التطور هو الاستحسان الاجتماعي للأفعال الصحيحة والاستهجان الاجتماعي للأفعال الخاطئة، إذن فعملية تطور الأخلاق عملية فكرية وعاطفية، وكلما توسعت الحدود الأخلاقية الفرد إلى المجتمع، يزداد محتواها الفكري.

سادسا: الضمير البيئي هو "أخلاق حياة المجتمع"، وهو ميل داخل الإنسان يدفعه نحو الشعور بالمسئولية الأخلاقية عن المحافظة على الأرض والمجتمع الحيوي بأكمله، وهذا الضمير محكوم بثلاثة معايير أساسية؛ هي: السلامة والاستقرار والجمال، ويُظهر هذا الضمير عدم جدوى تحسين شكل الأرض دون تحسين أنفسنا.

سابعا: يقصد "ليوبولد" بصحة الأرض قدرتها على التجديد الذاتي الداخلي، وجمال المجتمع الحيوي هو مقياس لصحة الأفعال أو خطئها؛ فهو يفحص كل مسألة من حيث ما الصحة الأخلاقية والجمالية؛ فيكون الشيء صحيحًا عندما يميل إلى الحفاظ على سلامة المجتمع الحيوي واستقراره وجماله، ويكون خاطئًا عندما يميل إلى غير ذلك.

ثامنا: ألقى "ليوبولد" المسئولية على مؤسسات التعليم العالي في إخفاق قيام أخلاق للأرض أو عرقلتها؛ لأنها تتجنب الحديث عن المفاهيم البيئية بشكل متعمد، أو أنهم يصيغون المفاهيم البيئية بلغة غير قابلة للفهم؛ ومن ثم نادى بتحقيق نهج شامل للبيئة وإدارة الموارد الطبيعية، وكذلك الاعتماد على الخبرات الشخصية لتعزيز التعليم المؤسسي، والتكامل بين القيم الإنسانية والعلمية والأخلاقية.

تاسعا: هناك ارتباط بين الفلاسفة وعلماء البيئة حول تقييم فلسفة أخلاق الأرض عند "ليوبولد"، وقد نتج ذلك من عدة أسباب، هي: 1- أن أخلاق الأرض تفتقر إلى الأساس النظري العام؛ أي المبادئ الأساسية والمقدمات التي تُؤدي من خلال حجة مقنعة إلى مبادئ أخلاقية. 2- أسلوب "ليوبولد" النثري، الذي استطاع خلاله اختزال معظم آرائه واختصارها في بعض الفقرات، مع أن هناك بعض الآراء كانت بحاجة إلى شرح مفصل وتوضيح شامل. 3- عدم اطلاع "ليوبولد" على معظم النظريات الأخلاقية المعاصرة. 4- النتائج الجديدة التي أظهرها التقدم العلمي في مجال علم البيئة. 5- لا توجد عبارة واضحة في آراء "ليوبولد" تنفى عنه شبهة الفاشية البيئية.

عاشرا: أخلاق الأرض عبارة عن تجميع لأفكار "ليوبولد" الأكاديمية وخبراته الميدانية؛ فهي نتاج تطور فكري من خلال تعاملاته مع الأرض نفسها وإدراكه المتغير لها باستمرار، محددا خطوات الإدراك البيئي في الملاحظة والدقة والتفكير النقدي.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر.

1) Leopold, Aldo: Wilderness as a Form of Land Use, The Journal of Land & Public Utility Economics, Vol.1, No.4, Wisconsin: University of Wisconsin Press, (Oct., 1925), pp. 398-404.

2) ……: Wildlife in American Culture, The Journal of Wildlife Management, Vol.7, No.1, Wiley, (Jan., 1943), pp. 1-6.

3) ……: A Sand County Almanac and Sketches Here and There, New York, Oxford University Press, 1949.

4) ……: The Ecological Conscience (1947), In: The River of the Mother of God and Other Essays by Aldo Leopold, ed by:

Susan L. Flader and J. Baird Callicott, Wisconsin, The University Wisconsin Press, 1991.

5) ليوبولد، ألدو: أخلاق الأرض، ضمن كتاب: "الفلسفة البيئية؛ من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية"، ج 1، تأليف: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، مجلة عالم المعرفة، العدد (332)، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، 2006م.

ثانيا: المراجع الأجنبية.

1) Callicott, Baird, J: The Conceptual Foundations of The Land Ethic, In "Companion to A Sand County Almanac; Interpretive & Critical Essays", ed by: J. Baird Callicott, Wisconsin, The University of Wisconsin Press, 1987.

2) Callicott, Baird. J: The Land Aesthetic, In: "Companion to A Sand County Almanac; Interpretive & Critical Essays", ed by: J. Baird Callicott, Wisconsin, The University of Wisconsin Press, 1987.

3) Callicott, Baird. J and Frodeman, Robert (Editors in Chief): Encyclopedia of Environmental Ethics and Philosophy, Vol.2, Macmillan Reference USA, Gale & Cengage Learning, 2009.

4) Clark, Rappaport. Jamie: Leopold's Land Ethic; A Vision for Today, Wildlife Society Bulletin, Vol.26, No.4, Wiley, (Winter., 1998), pp. 719-724.

5) Dicks, Henry: Aldo Leopold and the Ecological Imaginary; The Balance, the Pyramid, and the Round River, Environmental Philosophy, Vol.11, No.2, 2014, pp. 175-209.

6) Elton, Charles: Animal Ecology, New York, The Macmillan Company, 1927.

7) Errington, L. Paul: In Appreciation of Aldo Leopold, The Journal of Wildlife Management, Vol.12, No.4, Wiley, (Oct., 1948), pp. 341-350.

8) Flader, L. Susan: A Biographical Study of Aldo Leopold; Thinking Like a Mountain, Forest History Newsletter, Vol.17, No.1, Oxford: Oxford University Press, (Apr., 1973), pp. 14-28.

9) Flannery, C. Maura: Aldo Leopold Reconsidered, The American Biology Teacher, Vol.60, No.2, California: University of California Press, (Feb., 1998), pp. 148-151.

10) Frese, J. Stephen: Aldo Leopold; An American Prophet, The History Teacher, Vol.37, No.1, Society for History Education, (Nov., 2003), pp. 99-118.

11) Gladwin, Derek: The Steinbeckian Land Ethic; Environmentalism and "The Red Pony", The Steinbeck Review, Vol.4, No.1, Pennsylvania: Penn State University Press, (Spring., 2007), pp. 64-78.

12) Hinchman, P. Lewis: Aldo Leopold's Hermeneutic of Nature, The Review of Politics, Vol.57, No.2, Cambridge: Cambridge University Press, (Spring., 1995), pp. 225-249.

13) Kellert, R. Stephen: Aldo Leopold and the Value of Nature, In: "Aldo Leopold and the Ecological Conscience, ed by: Richard L. Knight and Suzanne Riedel, New York, Oxford University Press, Inc., 2002.

14) Kessler, B. Winifred and Booth, L. Annie: Professor Leopold, What Is Education For?, In: Aldo Leopold and The Ecological Conscience, ed by: Richard L. Knight and Suzanne Riedel, New York, Oxford University Press, Inc., 2002.

15) Knight, L. Richard and Riedel, Suzanne (ed by): Aldo Leopold and the Ecological Conscience, New York, Oxford University Press, Inc., 2002.

16) Knight, L. Richard: Aldo Leopold, the Land Ethic, and Ecosystem Management, The Journal of Wildlife Management, Vol.60, No.3, Wiley, (Jul., 1996), pp. 471-474.

17) Knight, L. Richard: Ecosystem Management and Aldo Leopold, Range Lands, Vol.17, No.6, Kansas: Allen Press, (Dec., 1995), pp. 182-183.

18) Kohler, E. Robert: Paul Errington, Aldo Leopold and Wildlife Ecology; Residential Science, Historical Studies in The Natural Sciences, Vol.41, No.2, California: University of California Press, (Spring., 2011), pp. 216-254.

19) Lorbiecki, Marybeth: A Fierce Green Fire, Aldo Leopold's Life and Legacy, New Edition, New York, Oxford University Press, 2016.

20) Meine, Curt: Building "Land Ethic", In "Companion to A Sand County Almanac; Interpretive & Critical Essays", ed by: J. Baird Callicott, Wisconsin, The University of Wisconsin Press, 1987.

21) Meine, Curt: The Once and Future Land Ethic, Wyoming Wildlife, (January., 2007), pp. 1-9.

22) Nelson, P. Michael: Aldo Leopold, Environmental Ethics, and The Land Ethic, Wildlife Society Bulletin, Vol.26, No.4, Wiley, (Winter., 1998), pp. 741-744.

23) Norton, G. Bryan: Searching for Sustainability; Interdisciplinary Essays in the Philosophy of Conservation Biology, 1st, Cambridge, Cambridge University Press, 2004.

24) Oelschlaeger, Max: Ecological Restoration, Aldo Leopold, and Beauty; An Evolutionary Tale, Environmental Philosophy, Vol.4, No. (1&2), 2007, pp. 149-161.

25) Shilling, Dan: Aldo Leopold Listens to the Southwest, Journal of the Southwest, Vol.51, No.3, Arizona: University of Arizona, (Autumn., 2009), pp. 317-350.

26) Shook, R. John (general editor): The Dictionary of Modern American Philosophers, 1st, Vol.3, Bristol, England, Thoemmes Continuum, 2005.

27) Silvius, E. John and Holtzman, T. Lynn: Leopold Appealed to Conscience, Bioscience, Vol.56, No.5, Oxford: Oxford University Press, (May., 2006), p. 373.

28) Swanson, A. Gustav: Aldo Leopold; (1887-1948), Wildlife Society Bulletin, Vol.15, No.3, Wiley, (Autumn, 1987), pp. 473-474.

29) Taylor, Michael: Leopold's Split Rail Values, Introduction to Environmental, September 19, 2009. In: https://introenvlshu.wordpress.com/2009/09/19/leopolds-split-rail-values, 11-12-2020.

30) Vaughn, F. Gerald: The Land Economics of Aldo Leopold, Land Economics, Vol.75, No.1, Wisconsin: University of Wisconsin Press, (Feb., 1999), pp. 156-159.

31) Vickerman, Sara: Aldo Leopold; A Sand County Advocate, Wildlife Society Bulletin, Vol.26, No.4, Wiley, (Winter., 1998), pp. 751-756.

32) Wenz, S. Peter: Leopold's Novel; The Land Ethic in Barbara Kingsolver's Prodigal Summer, Ethics and The Environment, Vol.8, No.2, Bloomington: Indiana University Press, (Autumn, 2003), pp. 106-125.

33) Wilson, O. Edward: Biophilia, Cambridge, Harvard University Press, 1984.

ثالثا: مراجع باللغة العربية.

1) النشار، مصطفى: مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الإيكولوجية المعاصرة، ط2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2015م.

2) بامي، جمال: القيم البيئية في فلسفة أخلاق الأرض، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، العدد (127)، المملكة المغربية، الرابطة المحمدية للعلماء، 27 – 5 – 2016م.

متاح على الرابط التالي: القِيم البيئية في فلسفة أخلاق الأرض – بوابة الرابطة المحمدية للعلماء (arrabita.ma).

3) داروين، تشارلز: أصل الأنواع، ط3، ترجمة: مجدي محمود المليجي، تقديم: سمير حنا صادق، تصدير: إسماعيل سراج الدين، العدد (3–628)، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2014م.

4) رومية، معين (المحرر والمترجم): مدخل إلى الفكر الإيكولوجي، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافية، 2007م.

5) كاليكوت، ج. بيرد: الأخلاق البيئية الكلية ومشكلة الفاشية الإيكولوجية، ضمن كتاب: "الفلسفة البيئية؛ من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية"، ج 1، تأليف: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، مجلة عالم المعرفة، العدد (332)، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، 2006م.

رابعا: مواقع من شبكة الانترنت

1) https://www.encyclopedia.com/people/history/historians-miscellaneous-biographies/charles-s-elton, In: 15-12-2020.

2) https://www.nrem.iastate.edu/annual-paul-l-errington-memorial-lecture, In: 16-12-2020.

3) https://islandpress.org/author/bryan-g-norton, In: 19-12-2020.

4) https://en.wikipedia.org/wiki/John_Passmore, In: 19-12-2020.

Abstract:

The American philosopher and ecologist "Aldo Leopold" views humans as conquerors of land who deplete all its natural resources, and this would naturally lead to a destruction of land and destruction of the natural environment around us. Therefore, we have to look at ourselves as a part of the biotic community and we also have to look at ourselves as mere ordinary citizens like any other species. This view must be based on respect and appreciation for all forms of life within the biotic community, because land community is a coherent and harmonious one, in order to preserve its survival and durability.

The basic rule on which all human actions proceed are: The action is correct when it preserves the safety, stability and beauty of the biotic community and it is wrong if it violates this.

This research investigates an analysis and criticism of the ethical grounds that determine the nature of human beings and all the members of biotic community or land community. As for its significance, it lies in changing our economic view of land to be replaced by the ethical view, through the ideas and opinions proposed by "Leopold" to solve this problem.

descriptors

: Land Ethic, Environmental Conscience, Land Health, Land ethic evolution, Land Pyramid.

A holistic view of Land Ethic according to "Aldo Leopold"

"A research in environmental ethics"

By

Dr. Mostafa Abdelrouf Rashed Ahmed

A Lecturer of Values and Ethics Philosophy – Philosophy Department– Faculty of Arts – Sohag University.

Dr. Wael Ahmed Abdalla Sabra

A Lecturer of Philosophy of Science and Research Methods - Philosophy Department– Faculty of Arts – Sohag University